

رواية

شيرين جويلي

السادسة مساءً بتوقيت باريس

دار دُون

السادسة مساءً بتوقيت باريس

شيرين جويلي: السادسة مساءً بتوقيت باريس، رواية

الطبعة العربية الأولى: يناير ٢٠٢٠

رقم الإيداع: ٢٧٠٩٠ / ٢٠١٩ - الترقيم الدولي: 6 - 210 - 806 - 977 - 978

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة

بدون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

© دار دَوْن

عضو اتحاد الناشرين المصريين.

عضو اتحاد الناشرين العرب.

القاهرة - مصر

Mob +2 - 01020220053

info@dardawen.com

www.Dardawen.com

شيرين جويلي
السادسة مساءً
بتوقيت باريس
رواية

دُون



للنشر والتوزيع

..كلنا نهرب من شيء ما

..أو نسير بقدر محكم صوب شيء آخر

..بعضنا يحمل سرًا

..والبعض يخشى حقيقته

..تلك حكاية «سدرا».. والسر الذي ينتظرها

..ومصيرها

..تلك حكاية عن الحب وقراءة في رسائل الحياة

(١)

ترجّلت سدرا من سيارتها، وحاولت أن تتحاشى النظر لانعكاسها في المرآة، حاولت ألا تفكر، لكنها وجدت نفسها تغمض عينيها قبل أن تفتحهما لتجدهما مرتكزين على مرآة السيارة، زفرت سدرا في صمت قبل أن تردد في قرارة نفسها: «مش عايزة أشوف نفسي.. مش عايزة أشوف نفسي».

كانت تلك هي الجملة التي رددتها جدّتها مراراً وتكراراً أثناء المراحل الأخيرة من مرضها، حينما كانت سدرا طفلة صغيرة..

هزّت سدرا رأسها، ثم نزلت من سيارتها مُسرعةً أثناء هطول مطر الشتاء القاسي متجهة نحو شقّتها التي تقطن بها وحيدة في منطقة المعادي.. محاولةً الهروب من المطر، وكأن شخصاً ما يطاردها، وما إن بلغت باب مدخل العقار حتى شرعت تفتحه كي تدلف إليه سريعاً.

انتبهت فور دخولها لوجود ورقة مُعلقة على باب المصعد مكتوب عليها «مُعطل».. زفرت أنفاسها في ضيق وهي تصعد أول درجتين من السلم، حتى قبضت بيديها على السور المؤدي لأعلى، أطلّت برأسها إلى نهايته، مدّت نظرها تتفقد طوله، وتحاول إقناع نفسها بالصعود على قدميها في نشاط وهمية، لكنها شعرت بالتعب يهاجم جسدها بأكمله قبل حتى أن تتحرك.

توقفت للحظات في استياء ارتسم على قسماط وجهها، ثم جلست على الدرج، ووضعت حقيبتها جانباً في تبرُّم، ثم نهضت سريعاً دون تفكير وكأنها اتخذت قراراً بعد فاصل من التأمل للتغلب على الاستسلام الذي سكن خلايا عقلها من قبل، وبدأت تصعد الدرج بخطوات سريعة متعجلة حتى وصلت إلى شقتها بالطابق السادس، وأولجت المفتاح في القفل وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة شديدة، وتستند بكتفها على الحائط الموازي للباب الذي تمكنت من فتحه في نهاية المطاف.

دلفت إلى الشقة تترنّح من شدة التعب، حتى استسلمت لأول مقعد كمقاتل عائد من معركة دامية خائر القوى، وألقت حقيبتها على الأريكة بجانبه، إلى أن لاحقها جرس هاتفها المحمول في تلك الأثناء، وبدأ يرن بصوته الذي حثها على الاستجابة في لحظات، أجابت، وكان المتصل هو كريم ابن عمها.. ألقت عليه تحية سريعة تعكس قدر التعب الذي كانت تشعر به في حينها:

- هاي يا كريم.

أجابها في نبرة مازحة كانت قد اعتادها منه: سدرا هانم!

ليأتي ردّها عليه باستخفاف وهي تلوي شفّتها السفلى، الأمر الذي جعله يتدارك أطراف الحديث الذي يبدو أنه على وشك الانتهاء قبل أن يبدأ، فأردف يسألها في لهفة: إنتي في الشقة؟

أجابته وهي تحاول وصف ما تشعر به: آه، أنا طلعت على رجلي الست أدوار، وتعبت أكثر ما أنا تعبانة.

حاول كريم أن يستمر في المزاح كعادته؛ إذ إنه يعتبرها شقيقته التي أرادت الحياة أن تعوضه بها عن كل شيء آخر، ولم يقوَ يوماً على الخلود للفراش، إلا بعد مهاتفتها والاطمئنان على سلامتها، وأنها وصلت شقتها التي توجد أسفل شقته مباشرة بنفس البناية، فيما تبادلته سdra نفس الشعور وربما أكثر، وكأن كل منهما يعتبر الآخر ملاكه الحارس، وظهره الذي خرج به من الدنيا.

- أنا عارف إنك مابتناميش علطول في كل الأحوال.

ثم استكمل حديثه ليبلغ مقصده سريعاً:

- أنا عايزك تيجي معايا بكرة بس كلاس التانجو، محتاجك عشان في حركة صعبة عايزة حد يكون عارفها بالفعل عشان المتدربين الجُداد يتعلموها على طول.. وانت عارفة الناس المتمكنين اللي زي ما بيكروتوش مع العملاء بتوعهم.

جاء رد سdra في تأفف:

- ماشي يا كريم حاضر.

ثم أكملت في نبرة اعتادها كل منهما في الآخر:

- أنا من رأيي تقلب الاستوديو بتاعك ده مطعم، صدقني هيبقى أفضل! وبلاش وجع دماغ كل يوم والتاني.

شرع كريم في الضحك وبادلها الموافقة على ما تقول، ثم أردف كمن تذكر شيئاً لتوه قائلاً:

- أنا صحيح عايزك في موضوع مهم جداً.

- موضوع إيه تاني يا كريم؟

- لا بكرة نتكلم، أنا بس بقولك عشان تفكريني إن فيه موضوع عايز أكلّمك فيه.

أنهت المكالمة معه، وألقت الهاتف جانباً في تعب، ثم نهضت تأخذ طريقها نحو المطبخ لإعداد فنجان من القهوة، القهوة التي تعتبرها صديقتها الوفية الوحيدة التي تنتشلها من الوحدة، والتي لا تدع لها مواعيد محددة في المقابل؛ خوفاً من الأرق وغيره، بل تعتبرها بمثابة دواء فوري لكل الأوجاع، وكأنها الثقب الأسود الذي يبتلع جميع آلام العالم في نهاية كل يوم.

وقفت أمامها تعطيها الفرصة كي تتعرف على ملعقة السكر الوحيدة في كل مرة، وما إن فعلت وانتهت من تحضيرها حتى تركتها على النار، ثم دخلت سريعاً إلى غرفتها لتُبدل ملابسها.. ووقفت أمام مرآتها في عجلة ترفع شعرها بشكل عشوائي يشبه عالمها المرتبك دوماً.. ثم عادت إلى المطبخ مرة أخرى قبل أن تنتزع القهوة التي تستشعر رائحتها بكل حواسها، ودائماً ما تأتي أمامها في الوقت المناسب. أسرعت وقامت بسكبها في فنجانها ذي اللون الأسود الذي يشكّل اللون المفضل بالنسبة لها، فانسابت رائحة القهوة تدغدغ أنفها، وتبعث الحياة في روحها المنهكة مرة أخرى.

أطفأت سdra جميع أنوار المنزل حتى تظل ضوء القمر إلى نافذتها الزجاجية الواسعة التي تحتل الحائط بأكمله، وجلست أمامها في استرخاء كما تفعل كل ليلة؛ إذ تعشق تأمل هدوء الليل، ملتقّة حول عزلتها التي ترتاح إليها، وتجد فيها علاجاً لروحها الهشة، ولا تجد راحتها إلا في الغياب التام عن العالم، وكأن الوحدة تمنحها الأمان الذي يجده الآخرون في الحياة المزدهمة بالأشخاص، والتي بالنسبة لها أشبه بسفينة غارقة.

أخذت ترتشف قهوتها في سكون بين زوايا المنزل الصامتة، وعلى أنغام موسيقى فرانك سيناترا التي اعتادت مصاحبتها في ذلك المناخ البارد، وفي تلك الأثناء رنّ جرس هاتفها مجدداً، فسحبته من على المنضدة في ضجر بعدما قطع المتصل عزلتها، طالعت هويته وإذ به عم يوسف النسخة البشرية من الصداق النصفى القاتل، الرجل الذي يعمل رئيساً للعمال في الجاليري الذي تمتلكه وتقتات منه، رجل خمسيني يمتلك قدراً مناسباً من الذكاء يتحول أحياناً إلى مكر بيّن.

- أبو يا عم يوسف.

- سلام عليكم يا أستاذة سdra، معلى أنا أستاذن حضرتك بس هناخر شوية بكرة على المعرض.

وما إن أبدت موافقتها على طلبه حتى أكمل بنبرته المزعجة في الحديث:

- ومعلى بس العميلة بتاعة تابلوه الحصان كانت مستعجلة عليه، وهو لسه مخلصش، وقالت لي أكرم صاحبة المعرض واديني بكلم حضرتك عشان بس تكلمي أستاذة «أمينة» تخلصه عشان أطلعاه في العربية مع باقي التابلوهات اللي المفروض تتوصل للزباين.

مطت سdra شفيتها في ضيق رغبة في إنهاء المكالمة، فقالت بسرعة:

- حاضر يا عم يوسف، حاضر.

أنهت المكالمة، وكانت قد شعرت بالجوع بعد أن أفسد الاتصال الثاني وحدثها المحببة.. توجهت إلى المطبخ في تناقل، وعادت تحمل في يدها طبقاً من المكسرات التي تعشقها، وأخذت تلتقطها بأناملها بحماس إلى أن قطع حماسها فجأة صوت مرتفع ينبعث مصدره من شرفة غرفة مطلة على الشارع من العقار المقابل لها.

اتجهت ببصرها سريعاً صوب النافذة، ومدت يدها كي تفتح جزءاً منها لتتفحص أمر تلك الشرفة المقابلة، وراحت تحاول الإنصات جيداً إلى مصدر الصوت.. تبينت لها حقيقة بعد لحظات، وإذا به مجرد شجار اعتيادي قائم بين زوجين. رمقتهما بنظرة سريعة في لامبالاة، وأثناء قيامها بغلق النافذة توقفت فجأة في ذهول أجبرها على إمعان النظر فيما تراه.

حيث وجدت ظلاً يختبئ وراء المطر لرجل لم تلمح منه شيئاً مميزاً سوى شعره الأشقر، وكان جالساً في الشرفة التي تقع في الطابق الثاني من العقار المقابل لها مباشرة، كان يمدّ كفيه تجاه المطر المتساقط عليه في الظلام، وكأنه يناجيه أو كأن الأمطار تحمل له رسائل سرية لا يعلمها إلا هو، كان المنظر غريباً، وظلت تتابعه في رهبة، إلى أن اشتدت الأمطار تماماً، وضرب ضوء البرق، معلناً عن ذلك في قلب السماء، فانعكس وميضه على هيئة ذلك الرجل يهتف ستره، فلم يظهر منه سوى معطفه الأسود الذي كان قد أخفى رأسه داخل غطاءه بعد أن اشتد المطر، فاخفى معظم وجهه وملامحه في الظلام.

كان يوجه نظراته لشيء خفي يخلق في الأفق، بينما يبدو على حركته الضيق والغضب، وكأنه يندم على شيء ما قد فعله للتو، كان انزعاجه واضحاً بشدة. وفجأة رفع رأسه ناحيتها.. انتفضت سدرًا فزعاً؛ ظناً منها أنه قد رآها، وتجمدت في مكانها من فرط الفزع الذي سكن قلبها لهيبة الموقف، ثم أغلقت نافذتها، وعادت للداخل سريعاً.

مرّ أكثر من ساعتين منذ وقعت عيناها على ذلك الغريب الذي يجبرك على إمعان التفكير فيما رأته، عادت سدرًا إلى عزلتها في وجوم حتى فاض بها الكيل، وقررت إشراك كريم في دائرة التساؤلات التي سكنت عقلها للتو، فأخذت تتحسس الطاولة بأصابعها تبحث عن هاتفها، وما إن وجدته حتى اتصلت به، استجاب لاتصالها بعد فترة طال فيها الجرس منادياً، وما إن سمعت صوته حتى شرعت في حديثها في عجالة شديدة:

- قوم بص من شباك أوضتك حالاً.

- فيه إيه يا سدرًا بس؟

وصفت له المكان بدقة، فنهض من فراشه، وأمعن النظر بدوره يبحث عما تقصده سدرًا، ثم أعاد عليها السؤال في دهشته المتواصلة:

- فيه إيه؟ مش فاهم؟

فقال له بينما تعتلي وجهها أمارات الدهول:

- كان فيه حد قاعد في البلكونة دي وهيئة وحركاته مش طبيعيين زي ما يكون شبح والله العظيم!

جاء ردّ كريم في تبرّم:

- يعني انتي مصحيانى من النوم عشان تقولى لى فيه شىح قاعد فى البلكونة؟!!

أجابته بنبرة غاضبة وما زال اهتمامها لم يبتعد منه ذرة واحدة:

- إنت مش مصدقنى يا كريم؟

ثم توقفت لحظات، وأردفت فى حيرة وعصبية زائدة، وكأنها تسأل نفسها وليس كريم:

- هو إزاي أهله ساييبه فى البلكونة كده فى الثلج والمطر؟ دا أكيد راجل عجوز وولاده عايزين يخلصوا منه عشان يورثوه.

ثم صمتت للحظات أخرى واستطردت:

- لا أنا هاروح لأهله دول واشوف...

وقبل أن تستكمل خطتها المفاجئة قاطعها كريم بنبرة حائرة:

- يا سدرأ إنتى بتسألنى وتردى على نفسك؟ إنتى بقالك يومين مانمتيش بس.

ثم طلب منها التوجه إلى غرفتها، والشروع فى محاولة النوم من جديد:

- ادخلى نامى يا سدرأ، إنتى أصلك ليلك طويل وفارغ، وأنا ههقل وأروح أنام برضه عشان عندي مشوار الصبح، عدى الليلة على خير، وطلعى العفارىت دى من دماغك.

استسلمت سدرأ لحديثه فى ضيق، ثم دلفت إلى غرفتها، واستلقت بظهرها على الفراش فى حيرة لازمتها منذ رأت ذلك الغريب لتوها، ودارت الأسئلة فى عقلها: ترى من هو؟ ومن يعيش معه؟ ولم يتركونه هكذا وحيداً داخل شرفته تتسابق عليه قطرات المطر الشديد فى الظلام وكأن ليس لوجوده أهمية فى هذا الكون؟ وما الذى يثير غضبه إلى هذه الدرجة؟

وبعد لحظات قررت أن تخدم حيرتها، وأن تفعل ما يمليه عليها فضولها، حيث راحت تطلّ عليه مرة أخرى، فوجدته على نفس حالته، وهنا قررت أن تتصرف بما يمليه عليها قلبها.. إما أن تجد الإجابة أو ستظل الأمور عالقة هكذا لعدة أيام، وبالفعل توجهت سريعاً نحو خزانة ملابسها انتزعت منها المعطف الفضى الذى ترتديه دائماً فى حالات المطر الشديد، ثم قامت بارتدائه، ونظرت فى الساعة، وسارت خارج شقتها، وأغلقت الباب من خلفها؛ كي لا توقظ كريم الذى يستمع إلى أقل حركاتها من شقته التى تقع أسفل شقتها مباشرة، ثم اندفعت سريعاً وفى صمت نحو باب المنزل.. فتحتة بحذر هو الآخر وخرجت منه متوجهة إلى العقار المقابل بخطوات حماسية سريعة، ثم دلفت إليه بعدما مدت

نظرها ناحية الطابق الثاني أثناء صعودها.. وصلت إليه ولم تجد سوى باب زجاجي ضخماً.. انتظرت أمامه لحظات في ارتباك، وأرادت لوهلة أن تتراجع عما تفعل، ترددت بالفعل لعدة ثوان قبل أن تضغط جرس الباب، ثم استجمعت قوتها وضغطت عليه في عصبية.

وبعد لحظات فتحت لها الباب سيدة خمسينية تبدو على ملامحها القسوة إلى حد كبير، كان لها وجه متجهم بدا عليه الانزعاج من ضغط سدر المتواصل، حتى ازداد الأمر سوءاً وهي تسأل سدر في غلظة:

- أفندم؟ عايزة حاجة؟

هربت الكلمات، ووقفت سدر أمامها عاجزة عن الكلام في بداية الأمر، وزادت حدة المرأة، وكررت عليها السؤال، بينما تغرق سدر في ارتباكها، لا تعرف من أين تبدأ حديثها، إلى أن استجمعت شجاعتها، ولملمت بضع كلمات، ثم قالت بنبرة ممتزجة بحدة مصطنعة لتداري بها ذلك الارتباك:

- من فضلك في حد عندكم قاعد في البلكونة في عز المطر، وباين عليه تعبان أو حاجة أنا حسيت...

وقبل أن تستكمل حديثها فاجأتها تلك السيدة الغريبة بغلق الباب في وجهها بعنف مقصود..

مما جعل سدر تتجمد في مكانها من أثر الدهول، ثم توجهت نحو الدرج، وراحت تنزل بخطوات سريعة، وكأنها تهرب من شعور الحرج الذي أمسك بها لتوّه.. عادت إلى منزلها لا تملك خياراً آخر سوى أن تراقب الرجل الغريب في الشرفة بعجز من خلف الزجاج.. ظلت هكذا حتى اختفى سواد الليل تماماً، وبزغ نور الصباح معلناً عن تحدٍّ جديد مع الحياة.

كان هذا هو الوقت المعتاد والأنسب للنتزه بالنسبة لها عندما يصيبها الضيق، وأحياناً تحارب ذلك الضيق باستعارة دراجة كريم النارية، والتي تحترف قيادتها؛ لتنتقل بها بسرعة قصوى، وكأنها تصارع شيئاً ما بداخلها أو تهرب منه ومن سباق الحياة.

لا تعلم سدر الآن حقيقة شعورها.. لكنها في نهاية المطاف تجد في السير صباحاً رياضة تبعث فيها شعور بالسعادة والارتياح.. ولم تكن سدر تدرك أن هذا الشعور سيتغير قريباً، وأن ما حدث الليلة هو خطوتها الأولى صوب قدرها المحكوم الذي سيقبل حياتها بأكملها.

* * *

(٢)

في الحلم كانت سdra تسير شاردةً وسط الثلوج، ترتدي فستاناً أبيض يتموج على جسدها بفعل الهواء، مغمضة عينيها وترفع كلتا ذراعيها لأعلي وهي تسير.. وفي نفس الحلم أيضاً كان رجل الشرفة الغامض يجلس وحيداً ويبكي متأثراً.. وما إن تقرب منه سdra وتضع يدها على كتفيه، حتى ينظر إليها بعينين دامعتين ويسألها في نبرة حانية:

- إزاي مش بردانة؟ إنتي لابسة فستان وسط الثلج.

فتجيبه في ابتسامة واسعة: عشان أنا حرة.

فتحت سdra عينيها، واستفاقت من نومها الحالم، إنه الصباح.. وقد أيقظها صوت الطرُق المتواصل على باب المنزل الذي أجبرها على النهوض وهي تتأرجح، وتلقي اللعنات على الطارق، حتى فتحت الباب لتجد كريم قبالتها، وقبل أن تصرخ في وجهه في اللحظة ذاتها تلاشى غضبها، وهدأت تماماً حين رأت بجانبه «سيزر»، كلبه الجيرمان الذي انطلق نحوها وذيله يهتز في فرحة تحمل الكثير من مشاعر الشوق واللهفة.

تسمرّ كريم أمامها، وراح يسألها عما فعلت الليلة الماضية؛ في محاولة اطمئنان طبيعية اعتادها كل منهما.. ثم تركها تلهو مع «سيزر»، وأخبرها بأنه ينتظرها بالأسفل، وأنه عليها أن تحضر معها فنجاناً من القهوة لأجله، كان ردّ فعلها الطبيعي أنها ثارت عليه في البداية كعادتها، وانهاالت عليه بكلمات مؤنبة، لكنها دخلت إلى المطبخ محنية الرأس نحو وعاء القهوة في نهاية المطاف، وأخذت تصنعها له بعناية أمّ يمتلئ قلبها بفيض من الحب.

وما إن انتهت حتى ارتدت ملابسها سريعاً وهرولت إليه تلقي بكوب القهوة في يده، وهي تستكمل وصلة العتاب المعتادة: عارف إني مانمتش غير ساعتين من إمبارح؟

استدار لها سريعاً وهو يحاول استرضاءها، بينما كان يطالعها بنظرات توّسل ممتزجة بمكر واضح: عارفة إني عندي مشوار كمان ساعة لازم ألحقه!

فردّت في تبرّم بعدما تجاهل ما تقوله عن عمد، وهي تفتح علبة البسكويت الصغيرة التي انتشلتها من على المنضدة الصغيرة قبل أن تغلق الباب:

- انت من ساعة ما أهلك سابوك في مسؤوليتي وخذولك للأسف الشقة اللي تحت وسافروا دبي وفتحت لي استوديو التانجو بتاعك ده وانت طايح بتعمل كل اللي انت عايزه!

أجابها بنبرة هادئة وهو يستمتع بأخر جرعة من القهوة في فمه:

- نصيبك كده يا سدر، طلعا لقينا نفسنا مسئولين عن بعض.

استدارت له مرة أخرى بنبرة حادة هذه المرة:

- بس يا كريم دي تالت مرة تعيد فيها السنة الأخيرة في الكلية، إنت مبسوط من نفسك كده يعني!؟

جاء رده في لامبالاة متوقعة:

- ما عنديش وقت يا سدر، أنا بشتغل الحاجة اللي بحبها زي ما انتي فتحتي الجاليري، وعملتني الحاجة اللي بتحببها، واضطرتني تعيشي لوحديك برضه.

- أنا واحدة عندها ٣٧ سنة وعارفة إزاي أخطط لحياتي.. لما أبويا وأمي انفصلوا وأنا عندي ١٥ سنة قررت إنني لازم يكون عندي هدف أحققه.. لأن أول فشل قابلته في حياتي هو بيتنا.. وأصعب شيء ممكن يقابله أي حد في سني ساعتها هو انفصال أب وأم فجأة من غير أي مقدمات!

فقاطعها: لا يا سدر الفشل دا مكانش إنتي السبب فيه، إنتي جزء منه، ضحية يعني، وبعدين اللي قابلينا قالوا كدا!

ردت باستنكار: يعني إيه؟

كريم: يعني الدنيا اتغيرت، دا ماسموش فشل دا اسمه اختيار أهلك.. هما اختاروا اللي يريحهم، وانتني اضطررتي إنك تختاري اللي تقدري تعمليه.. وأنا كمان لازم أختار اللي يريحني!

الفشل الحقيقي إنك كنتي استسلمتي لوجعك ساعتها، ومقررتيش تحددني لنفسك أهداف تحقيقها، وساعتها كنتي ضعيتي بجد.

ثم أكمل:

- أنا اخترت طريقي ومُصرّ أكمل فيه.. وأي خطأ أو فشل أنا الوحيد اللي أتحمّله، لأنني ممكن أفشل فعلاً! لما بتختاري حاجة وانتني مؤمنة بيها هتحققي فيها شيء صدقيني، وخلي بالك هتقابلي الفشل مرة واثنين وثلاثة وانتني ماشية فيه، وهتقعي كثير، بس إيمانك كل مرة وثباتك هو اللي هيوصلك للي انتني عايزاه في النهاية..

الفشل بالنسبالي يا سدر بيحصل لما تفضلي على الأرض، وتستسلمي للسقوط، لكن تحقيق حلمك أوله معاناة، وأول معاناة بتقابلك هي رفض اللي حواليك لي انتني بتعمليه.. ودا أول شيء لازم تتغلب عليه! في مقولة بتقول: «لا تلتفت لكلي تصل»، وأنا واخد قرار مالتفتش لحد حتى لو فشلت، وماعتقدش إن دا يحصل، بس في النهاية دي حياتي.. لأنني مش عايش في جسد حد بنجح له وبفشل له.

شرد ذهنها للحظات وهي تنصت إليه بينما لا يزال كريم مستغرقًا في حديثه معها قائلاً:

- أوبيا وأمي جابولي الشقة كتر خيرهم، ويبدولي فلوس مشكورين، بس اللي هو ابعدهنا بشياكة.

فقطع شرودها تجاوزه بالقول على أبيه وأمه! فانفض ضاحكًا عندما باغتته بضربة مازحة على كتفه بمزاح.

كانا يقطعان الشارع سيراً، ولوهلة خيل إلى سدرأ أنها قد لمحت الرجل الغامض مرة أخرى، مما دفعها للشعور بالاندھاش مما يحدث لخيالها، ثم دلفت مع كريم إلى شارع جانبي اعتادا السير فيه إن أرادا استكمال حديث طويل، حيث كان الكلب «سيزر» يلازمهما راکضًا إلى جانب سدرأ.. جلسا على أريكة خشبية عندما تذكرت سدرأ وهي تلتفت لكريم: موضوع إيه اللي كنت عايزني فيه؟

ردّ كريم:

- مامتك كلمتني إمبراح وعايزاني أقنعك إنك تتجوزي.. زي ما تكون حاسة بالذنب!

أشاحت بوجهها عنه في لامبالاة، فنهض في عجلة قائلاً:

- أنا بوصل رسالة عارف إنها ملهش أي معنى بالنسبالك! بس لازم أوصلها.

ثم أردف: عامة أنا لازم أمشي حالاً، ومن ثم راح يسير مبتعداً وقال لها بنبرة يملؤها الحنو: معلىش يا سدرأ أنا قلفتك يوم إجازتك.

التفتت سدرأ له سريعاً وكأنها تذكرت شيئاً: طب وكلاس التانجو اللي كنت عايزني فيه بالليل؟

ردّ عليها في هدوء: بعدين يا سدرأ.

- طيب متأخرش!

وبعد أن رحل ظلّ يفكر للحظات قابضاً بيده، وتتبعث من عينيه نظرات قلق وكأنه يخشى الهزيمة في معركة ما مُقبل على خوضها خلال الساعات القادمة.

عادت سدرأ لشقتها بعدما استنشقت قدرًا كافيًا من هواء الصباح الذي يساعدها على استكمال اليوم، وراحت تجلس بجانب «سيزر» على الأرض أمام النافذة، أخذت تمسح على رأسه في رقة وحنان، وهو يرفع رأسه في فرحة ويثب على ركبتيها بطمأنينة، فقررت أن تأخذه للتنزه مجددًا، لكن هذه المرة في حديقة للكلاب مجاورة للمنزل.. وأثناء توجهها إلى المطبخ رنّ جرس هاتفها، فعادت كي تجيب، لتجد المتصلة هي أمينة صديقة كريم، والفتاة التي تعمل معها في الجاليري:

- هاي أمينة.

-هاي سdra، أنا بكلمك عشان أقولك إني قربت أخلص الشغل بتاعي، وخلص هسلمه لعم يوسف.

- أوك يا أمينة بس عايزاكي تلتزمي بالمواعيد عشان يكون فيه مصداقية عن كدا مع العملاء بتوعنا.

- أنا أسفة بجد يا سdra.. طيب هو كريم عندك؟

- لألسه نازل.

- أصل بكلمه مايردش عليا ونزل مع أيمن، بس هحاول أكلمه تاني.

ثم أضافت أمينة:

- أنا احتمال آجي النهارده أبات معاكي عشان بابا وماما مسافرين..

- تمام يا حبيبيتي مستياكي طبعًا، ولو نزلت هسيبك المفتاح مع الأمن.

جرت محادثتهما بشكل طبيعي، إلى اللحظة التي خيل فيها لسdra أنها قد رأت رجل الشرفة الغامض مرة أخرى.

لكنه كان يقف متكأ بيديه فوق سور الشرفة هذه المرة، ويرتطم وجهه بتيارات الهواء الباردة.. وكان إلى جواره كلب أسود ضخم..

أنهت سdra المكالمة سريعًا مع أمينة، وبدأت تقترب ببطء نحو النافذة، وأخذت ترمقه بنظرة فضولية واضحة، وتراقبه بينما يتأمل السماء بنظرات ساكنة ويستنشق الهواء ويغمض عينيه كأنه يحتضن حبيبته في خياله بشوق غامر.

كانت ملامحه جلية، وما إن شرعت تحفظها حتى بدأ كلبه ينبح فجأة ويقفز عليه في حنو عندما انتبه إلى نور شرفتها وهو يضيء وينطفئ، وما أثار دهشتها وزادها استغراباً هو ردة فعل الشاب الذي التفت إلى كلبه ثم دلف إلى غرفته في هدوء تام وخلفه الكلب... لكنه استدار بجسده على عتبة الشرفة، ورفع عينيه في اتجاه سdra وهو يسدل الستار، مما أجبرها على التحرك باضطراب وتوتر، حتى اختفى ذلك الشاب عن مرمى بصرها.

بقيت سdra مستغرقة في التفكير في ذلك الغريب لفترة، إلى أن قطع استغراقها نباح «سيزر» حين قفز بيديه الصغيرتين وجسده الضخم عليها محاولاً لفت انتباهها، فأخذته في عناق طويل.. ثم استلقت على الأريكة حتى غلبها النعاس.

* * *

(٣)

جلس كريم وحيداً، وهو يحاول أن يتظاهر حتى أمام نفسه بأن كل شيء على ما يرام، لكن تظاهره الممزوج بالمرح والفكاهة واختبائه خلف ستار السخرية ومحاولاته المستمرة في أن يبدو شخصية شديدة السطحية أمام الجميع، لم يشكلوا غطاءً جيداً لحقيقة ما يشعر به، فقد كانت أشباح الماضي بأكملها تطارده..

بدأ يتذكر منذ عدة أعوام ليلة المشاجرة التي شكّلت نقطة تحول كبيرة في حياته حينما أفقده أقرب الناس إلى قلبه، تلك الليلة التي وصل صديقه القديم أيمن.. بينما كان كريم جالساً متكئاً بساعديه على ساقه قابضاً بكفه على يده الأخرى، وصديقه يقف بجانبه عند كوبري قصر النيل، يترقبان المارة في ملل عندما حدثت المشاجرة فجأة.. لم يدر كريم كيف ولا متي تدخل أيمن في تلك المشاجرة المشؤومة، كل ما يتذكره هو صياح متواصل ولكمات ودماء...

وفجأة وجد كريم نفسه يحمل صديقه أيمن بين ذراعيه بعدما سقط أرضاً وهو غارق في دمانه، شعور غريب ومرعب أن يموت صديقك في الشارع؛ إثر حادثة أو مشاجرة لا داعي لها، ولم تكن في الحسبان، والشعور الأغرب أن يحدث كل هذا أمامك وبين ذراعيك.

حاول كريم أن يستيق من ذكرياته وهو يجلس وحيداً، لكنه فشل في اللحظة التي تأكد فيها أنه ليس على ما يرام.. وأخذ يعود بذاكرته إلى وقت وقوع المشاجرة مراراً، ذلك اليوم الذي استيقظت فيه سdra مفزوعة على صوت جرس هاتقها كما حكّت له بعد ذلك، وكانت المتصلة أمينة، والتي حدثتها بنبرة يملؤها الخوف والقلق: سdra كريم مايردش، وواضح إن فيه مشكلة كبيرة معاه!

لتجيبها سdra باستغراب وفزع: مشكلة كبيرة ازاي؟!!

أمينة: أنا جيلالك دلوقتي، ماعرفش هو ردّ عليا مرة واحدة بس وقالي إن فيه حوار على وجود بلطجية هربوا من عربية ترحيلات وكذا حد اشتبك معاهم، بعدما كان في صوت خناق حواليه وماردش تاني.

تلقت سdra حولها ولا تزال ملامح وجهها يعتليها الفزع تبحت عن ريموت التلفزيون لعله يخبرها أكثر عن موضوع البلطجية والمشاجرة التي تشير إليها أمينة، ثم توقفت للحظة عندما سمعت صافرات إندار سيارات الشرطة والإسعاف بالخارج الفعل، وهنا توجهت سريعاً صوب النافذة، وأخذت هاتقها على الفور مرة أخرى، وهي تشعل التلفزيون، وتحاول الاتصال بكريم وهي تسيير ذهاباً وإياباً في قلق بالغ، لكن هاتفه كان مغلقاً.

رنّ جرس الباب فراحت سdra تفتح، وإذا بها أمينة تدلف إلى داخل المنزل سريعاً، وتجلس معها أمام التلفزيون في قلق واضح، وقد قامت برفع صوته قليلاً، وتتابعان الأخبار بانتباه شديد، بينما

تعاود سdra الاتصال بكريم دون جدوى.

وبعد ساعات من الحيرة والفرع كان كل من سdra وأمينة مع كريم في المشفى، وشاهدتان على دموعه التي لم تجفّ بعد، وهو يواصل التمتمة والمناجاة: ليه أيمن؟ ليه أيمن؟ يا رب ده كان أطيب واحد فينا.

ولم تجد سdra ما تردّ به عليه كي تواسيه في حزنه، ولم يفعل أحدهم منذ ذلك اليوم الذي لم ولن ينساه كريم أبداً.

أما عن الليلة التي تلت وفاة أيمن، والتي كان لها عظيم الأثر في أنفسهم جميعاً، فقد غلب على أمينة النعاس قبل إلحاح كريم كي تعود للمنزل، بينما كانت تجلس سdra أمام شاشة التلفزيون تتابع الأخبار، وتحمل من حين لآخر هاتفها كي تتفقدته إلى أن انتفض سيزر من مكانه بعد أن سمع صوت خطوات خلف الباب، وراح يجري نحوه فانتفضت هي الأخرى في نفس اللحظة التي رنّ فيها الجرس، وسرعان ما ركضت نحوه لتفتحه في عجلة وتجد كريم أمامها مطأطئ الرأس، وثيابه متسخة أكثر من ذي قبل، ونظراته هزيلة، وكأن عاصفة هوجاء قد أرسلته، وما زال صفير الرياح يطنّ في أذنه، وهدير الرعد ما زال يدوي في رأسه، دخل المنزل متكئاً على كتف سdra وهو يسير بخطوات متناقلة، حتى ارتمى بجسده على أول أريكة، وأراح رأسه للخلف في تعب بالغ، لم تكفّ سdra عن التحديق به في حزن، ولم يجبها كريم عن كل أسئلتها، بل نهض بصعوبة وذهب للشرفة. ويسبب موت أيمن وظروف تلك الليلة وكل هذه الأحداث جعلها هذا تدرك حاجته إليها كأخ، وهو الشخص الوحيد الذي تهتم لأمره.

اعتادت سdra منذ ذلك اليوم أن تطمئن على كريم أولاً، ومن ثم تجلس كعادتها أمام النافذة على الأرض وهي تتناول مشروبها الليلي المفضل من أن لآخر، قدح الشوكولاتة الساخنة الذي يساعدها على النوم، ويمنحها قدر الدفء الذي تحتاجه، والذي لطالما كانت تحتسيه أثناء مرض جدّتها؛ لتحاول الهروب من صوت صراخها الذي مزّق نياط قلبها لفترات، مما يقودنا إلى الحقيقة التي تعكس كونها أقرب إلى جدّتها من والديها.

تراقب سكون الليل وداخلها تنتزه عواصف قديمة، وفي كل مرة تحاول الدموع أن تتسال من عينيها وهي تنظر إلى السماء وكأنها تنتظر نهاية العالم وكأنها تحتسي كؤوساً من الأوجاع تشعر وكأنها سجيناً لكابوس لن تستيقظ منه.

وبعد كل هذه الأحداث المؤلمة في حياتها، تشكل لكل من سdra وكريم شخصية جديدة راغبة في العبور من مآزق النفس المستمرة، بعدما فقدت سdra جدّتها بينما كانت تواصل الحديث معها في مخيلتها من حين لآخر، وكأن لا وعيها قد تخيل سيناريو ما قد يحدث لو كانت جدّتها لا تزال على قيد الحياة.

وفي الوقت ذاته الذي فقد فيه كريم صديقه المقرب أيمن؛ إثر مشاجرة لا داعي لها، وعاش يعاني من عقدة الذنب، وقد أقسم بينه وبين نفسه على ألا يدع مكروهاً يحدث لشخص يحبه مرة أخرى.. وعلى الرغم من أن ابنة عمه سدرًا هي الأكبر سناً إلا أنه بات هو المسئول الأول عنها وبشكل كامل.

ومن مصادفات القدر بعد ذلك أن يتعرف كريم بعد فترة على صديق جديد يدعى أيمن.. صديق طيب يحمل نفس اسم صديق عمره الذي ذهب ولم يعد، ويشكل لديه نفس قدر الحب والإخلاص الذي شكّله صديقه القديم.. لكن الحياة لم تلق له إلا بنبذة بسيطة عما هو قادم، ويبدو أن أمر تعارفه على أيمن لم يكن بمحض الصدفة فحسب.

بل إن ما لم يعلمه كريم وما لم تعلمه سدرًا نفسها أن طليقها أحمد، الذي تزوجته في ظروف سوداوية مشؤومة في شبابها ليشكل لها الدرس الأكثر قسوة في حياتها.. كان هو نفسه الصديق المقرب لذلك المدعو أيمن، ولكن من فترة قصيرة لم تسمح لأحد باكتشاف أمر تلك الصداقة، إذ كانت علاقة العائلة بطليقها أحمد قد انقطعت بالفعل، ولم يتم الإشارة إليه سوى كونه رجل الأحلام الزائفة الذي صار يقيم بالولايات المتحدة وحده بعد فاصل من المعاناة.

كان ذلك بعد تجربة الزواج الفاشلة لسدرًا، وبعدها سافرت معه بعد الزواج مباشرة لأمريكا وهي تظن أن أحلامها وأيامها الحلوة سوف تبدأ، لكن الاكتئاب قد أصابها بعد أن عاشت مع أحمد معاناة حقيقية لمدة ستة أشهر.. ثم بدأت تتلقى جلسات العلاج النفسي، وأحياناً الجسدي؛ إذ كان زوجها الملعون يمارس عليها جميع أنواع العنف، وقد قررت بعد ذلك العودة إلى مصر نهائياً بعد تمام شفائها.. ثم رفعت ضده دعوى لانفصال وتم قبولها بعد ثبوت الأذى الذي لحق بها بسببه، وتخلصت منه نهائياً.. أو هكذا ظنّت المسكينة.

في تداعيات هذه الزيجة الحزينة ظهرت على سدرًا أعراض مرض اضطراب ثنائي القطب.. وما زالت تتعاطى عقاقير مهدئة بسببه، ولهذا فإنها دائماً ما تفضل العزلة! وما بين هذا وذاك لم يدرك أحد قط المعاناة الحقيقية التي عاشتها سدرًا، والتي تركت بها شروخاً وندبات لا يمكن الشفاء منها أبداً.

حاولت سدرًا ألا تنتظر لانعكاس مرآة غرفة نومها وهي تغمغم مجدداً في شروء «مش عايزة أشوف نفسي»، قبل أن تحتسي قدرًا كافيًا من قدح الشوكولاتة الساخنة.

في بعض الأحيان كانت تتذكر طليقها أحمد الذي كانت الحياة معه بمثابة نقطة تحول كبيرة في نفسيته، وفترة اكتئابها ولامبالاتها وزواجها السريع منه، عنفه وقسوته وساديته التي بدأت في صورة انتقاد وتهكم مستمر وتحولوا فجأة وبشكل مرعب لعنف جسدي وتحكم ورغبة مريضة في السيطرة الكلية، تتذكر كابوساً طويلاً قد عاشته معه في الولايات المتحدة، إلى أن جاءت تلك الليلة التي قررت فيها أن تكف عن كونها ضحية وتصبح مقاتلة، وقاتلت بالفعل حتى عادت للقاهرة وانفصلت عنه بمساعدة كريم الذي وقف إلى جوارها وساندها.

كانت تستعيد كل هذه الذكريات المظلمة بدورها، ولا تعلم أن كانت قد وصلت لبر الأمان أم إنه ما زال في انتظارها المزيد من البقاع المظلمة! فقد عاشت طيلة حياتها دون أن تنعم يوماً بأمان حقيقي.

انقطع شرودها فجأة عندما لمحت رجل الشرفة الغامض فجأة، انتفضت من مكانها وكأنها كانت تنتظره ثم قامت بمسح وجهها وتجفيف دموعها بكلتا يديها، واقتربت أكثر من زجاج النافذة، وراحت تراقبه وهو يتأمل السماء كعادته داخل معطفه المعتاد.. فيبدو وكأن هنالك هالة سوداء من حول رأسه يطل منها بعينين ذابلتين تتسلل منها الدموع، أخذت تتساءل عن سر تعلقه بالسماء وفرط حبه للمطر والليل، وكأنه يصنع منهم عالماً خاصاً به، ويرى في وحشة الليل ونس، ويصنع من دويّ الرعد هدوءاً وسكينة، ويستمد نوراً من وميض البرق الخاطف ليضيء به عتمة عالمه عندما تشتد وتزداد.

لم يعد يخيفها ذلك المشهد كما كان يفعل من قبل، بل أصبح يُشعرها بالأمان، حتى وإن بدأت تراودها الشكوك بأنها مجرد هلوسات، لكنها لم تكترث.. فالهلوسات ليست مرهقة طوال الوقت، فإنها أحياناً ما تكون مصدرًا باعثاً على الاطمئنان.

في النهاية اختفى ذلك الرجل من أمامها كالمرّة الفائتة، ألقت سدرا نظرة أخيرة بألم وشعور بالفقد، ثم استدارت بخيبة أمل، وعادت تجلس على الأرض تفكر في ذلك الغريب المختبئ داخل معطفه الأسود، والذي احتل جانباً كبيراً من تفكيرها! باتت تشعر وكأنه يشاركها وجعها بوجعه الخاص دون حتى أن ترى ملامحه..

وبدأت الأفكار تتقاتل داخل رأسها.

لعله مصاب بمرض ويتصارع معه داخل حلبة البقاء فيها للأقوى! أم إنه رجل مُهمل تائه في العالم، ولا يعتني به أحد، أو لعله رجل ضعيف لا حول له ولا قوة يعيش داخل عزلته وتحوم حوله أجرام الوحشة، ولا يجد الحياة إلا في الجلوس تحت الأمطار الغزيرة.. وكأن آلام العالم قد اجتمعت عليه في تلك الليلة.

في حلم جديد من أحلامها التي باتت لا تتقطع عن زيارتها عاشت سدرا لحظة احتضار جدّتها، ونهضت مفزوعة وهي ترتدي معطفها الضخم، وتقوم بالنداء على «سيزر» بنبرة مرتعشة، فجاء إليها لتشبك سلسلته داخل طوق عنقه بعصية تاركة الدموع تسيل من عينيها جالسة على ركبتيها، وبعد أن انتهت نهضت متخبطة تشعر وكأنها على حافة الانهيار وتقاوم السقوط.

خرجت سدرا من المبنى واضعةً غطاء الرأس المتدلي من معطفها على رأسها، ويضرب الصقيع وجهها الذي يحمل علامات حدة لمقاومة الهزيمة والانكسار، بينما يسير «سيزر» أمامها بهدوء.

أثناء سيرها فجأة أحست بشخص ما يتتبعها فأبطأت خطواتها وهي تتحسس عصاها الكهربائية الخاصة بالدفاع عن نفسها.. في تلك اللحظة انتفض سيزر وركض نحوه فجأة، فرجعت خطوة إلى الخلف في ذهول، وسحبت الكلب سريعاً من طوقه، بينما ظهر شخص آخر مهاجماً ذلك المتحرش الذي يحاول إلحاق الأذى بسدرا.. وجد المتحرش نفسه بين هجوم سيزر والرجل الذي ظهر فجأة فولى هارباً.

تعجبت سدرا، وحمدت الله على ظهور ذلك الرجل الذي ساعدها.. وما إن أمعنت النظر حتى اعترتها الدهشة عندما رآته.
كان رجل الشرفة الغامض.. جارها الذي ظهر أخيراً.. ظل يقفز «سيزر» بجانبها ولا يكف عن النباح بعصبية، وهي تحاول جذبته بقوة، وما زال وجهها يعتليه الذهول حتى تجمهر عمال الأمن، وقام أحدهم بتكبييل سيزر.

وفي خضم هذا التجمهر تواري الرجل الغريب مرة أخرى عن الأنظار، بعد أن أنقذها في صمت.. ظلت تبحث عنه ببصرها، فوجدته يدلّف إلى مدخل عمارته.. ركضت خلفه سريعاً، واقتربت منه، وظلت تناديه من على مسافة ليست ببعيدة «استنى استنى».. لكنه تجاهلها تماماً.

صعدت خلفه وهو لا يزال يتجاهلها، فاضطرت في النهاية أن تتراجع عن مطاردته، وقد شعرت بالخجل من نفسها، واستدارت بعصبية، ونزلت خارج العقار، ثم اتجهت نحو منزلها في ضجر.

عادت إلى منزلها، وألقت بمفاتيح المنزل على الأريكة، ثم أسرع نحو النافذة تنتظر خروج ذلك الغريب، وفجأة قطع انتباهها جرس باب المنزل، فوجدته عامل الأمن عم عبد الله، فقالت في تأفف:

- إزيك يا عم عبد الله.

فردّ بنبرة رجاء:

- يا أستاذة سدرا حضرتك ماينفعلش تنزلي فجأة كدا وانتي سرحانة.

وكان عم عبد الله يدرك جيداً نوبات الاكتئاب تلك التي تصيب سدرا، والتي تجعلها تهيم وحدها في الشارع بهذا الشكل، وعلى إثر حوادث سابقة سمح لنفسه بهذا التدخل.

ردّت سدرا في ملل واضح:

- حاضر يا عم عبد الله حاضر.

استيقظت أمينة على صوت جرس الباب، وكانت قد اعتادت أن تقضي ليالي كثيرة مع سدرا بحجج مختلفة، ولكن الحقيقة أنها كانت تعاني هي الأخرى من الوحدة الشديدة، وما إن سمعت الحديث الذي

دار بين عم عبد الله وسدرا حتى اعتلت ملامح وجهها الاستغراب، سائلة بنبرة قلقة:

- فيه إيه يا سدرا؟ انتي كنت فين؟ وإيه اللي حصل؟

أجابتها سدرا في توتر بادٍ على قسماط وجهها:

- مفيش حاجة يا أمينة ادخلي كملي نومك.

- لا مش داخله، أنا قلقانة عليك يا سدرا.

التقت سدرا وهي تنظر لها في حدة قائلة:

- إيه ما لك؟ فكراني طفلة صغيرة؟ كلكم فاكريني طفلة ما اعرفش أخرج مترين بره البيت؟

- يا حبيبتي لأ.. أنا بس خايفة عليك.

ردت سدرا وهي تصيح لإرادياً:

- من اللي أنا شوفته في حياتي.

ثم انخرطت فجأة في البكاء.. جلست أمينة بجانبها ولا تزال الدموع تتساقط من عينيها وهي تحاول تهدئتها، حتى رنّ جرس هاتف أمينة، وكان المتصل إبراهيم صديق العائلة بشكل ما، وصديق مشترك لكل من كريم وكذلك سدرا وأمينة، رغم وجود فارق سن كبير بينهم، لكنه صار قريباً منهم بعد أن كان في يوم من الأيام مجرد عميل في الجاليري.

أجابته أمينة: أخبار حضرتك يا أنكل؟

- إزيك يا أمينة يا حبيبتي؟

- أنا كويسة بخير.

- سدرا عاملة إيه؟

صمتت أمينة ولم تجبه فأردف:

- طيب أنا كده كده كنت جاي النهارده عشان نخرج سدرا شوية جنب البيت.

نهضت أمينة سريعاً من جانب سدرا، ودلفت إلى الغرفة، وردت بصوت خافت:

- يا أنكل أنت ماتعرفش إيه اللي حصل، سدرا لما نزلت اتعرض لها واحد باين عليه متحرش، والناس بتوع الأمن لحقوها، وطلعت فضلت تزعق فيا أعصابها بايظة، وأنا خايفة عليها قوي، ومش عارفة أعمل إيه.

- مسكينة ومتهورة وماحدش بيقدّر عليها طول عمرها، أنا جاي آخر اليوم كمان ساعتين خليكي بس جنبها!

راحت سدرا وسط بكائها الصامت، فغرقت في نوم عميق وطويل.. استيقظت في التاسعة مساءً، خرجت من غرفتها الغرفة بخطوات متثاقلة، لتجد إبراهيم جالساً أمام النافذة بجانبه أمينة التي تطعم «سيزر»، بينما يحتسي إبراهيم القهوة في هدوء، فاتجهت نحوه، وجلست على مقعد مجاور وهي صامته، وكأنه كان موجوداً قبل نومها.. وضع فنجان القهوة على المنضدة الرفيعة الموضوعة بينهما، قائلاً بحماس شديد:

- يا أهلاً بستّ البنات!

ردّت عليه في خفوت: أهلاً.

الحقيقة أن سدرا لا تزال تشعر بعدم ارتياح كلما تواجد كريم أو إبراهيم في شقتها، شعور ما أنه شيء غير طبيعي، كما أنه أشبه بالوصاية في بعض الأحيان، لكنها كانت تعتبرهم الونس الوحيد لها في نهاية المطاف، كما أن وجود أمينة كان يمنحها قدراً كبيراً من الثقة فوق ما تمتلكه بالفعل.

ردّ مماًزحاً: يا بنتي عيب كلميني باهتمام كده.

فأجابته بنظرة تعكس حجم التعب الذي تشعر به:

- اتغديت ولا لسه؟

فقاطعتها أمينة من على الأريكة خلفهما: أيوا وكنا عايزينك تتغدي معانا بس أنكل إبراهيم قال لي أسيبك نايمة أحسن.

وهنا تدخّل إبراهيم قائلاً:

- تاكلي دلوقتي يلا وتقومي تلبسي علشان هنروح الكافيه نقعد فيه شوية، إنتي محتاجة تغيّري جو.

وبمرور ساعتين من نزولهم، عادت سدرا مع إبراهيم وأمينة من الكافيه الذي يقع في الشارع المجاور، بينما كانت تسيير بخطوات تحمل خيبة الأمل والأسى، حتى انطلق «سيزر» من أمامها فجأة كالسهم نحو شخص آتٍ من بعيد أسفل منزلها، وعندما أمعنت النظر وجدته جارها الغامض الذي قام بإنقاذها من ذلك المتسكع الذي حاول الاعتداء عليها في فجر هذا اليوم.. كان واقفاً بجوار

كلبه الخاص به هو الآخر.. قفز سيزر يفرد قامته محاولاً معانقة الغريب وكأنهما أصدقاء قدامى..
وحين اقتربوا منه ظل كلبه هو الآخر يلتف حول سدرا بدوره، ويهز ذيله في سعادة شديدة، فجتت
على ركبتيها تعانقه برقة وابتسامة حانية.. في تلك الأثناء، في ذات الوقت الذي توجهت فيه أمينة
نحو مدخل العمارة:

- أنا هطلع أنا يا سدرا.

فأجابتها موافقة: ما تقلقيش أنا طالعة كمان شوية.

ومن ثم بدا على إبراهيم لا مكان له بينهما، فقال في عجلة:

- طب يا سدرا أنا كمان همشي؛ لأنني تعبان جداً.. يلا تصبحوا على خير.

ثم ألقى التحية على جارها بإيماءة يخالطها ابتسامة هادئة، ورحل، وفي ظل انغماس ذلك الشاب مع
الكليين جاثياً على ركبتيه.

نظرت سدرا له بنظرة حائرة وهي تسأل: ممكن أسأل حضرتك سؤال؟

لم يلتفت لها في المرة الأولى، فأثار غضبها ما فعله، وبعد عدة ثوانٍ التفت لها، فوجد الغضب يعتلي
معالم وجهها، فتراجع قليلاً بابتسامة مرتعشة، فسحبت سيزر من أمامه بتذمر ليركض خلفها،
ويمسك بذراعها، فنظرت إلى يده في دهشة ممزوجة بغضب، ثم أعادت النظر له بعد أن أطاحت
بيده عنها بقوة وهي تصيح فيه: إنت مجنون؟ شيل إيدك.

فوقف أمامها في حيرة من أمره، ثم بدأ يعتذر لها مشيراً بيديه أمام وجهه وأذنيه.. كان يكلمها بلغة
الإشارة، الأمر الذي أجبرها على استبدال ملامح وجهها، وجعل قلبها ينتفض، وهدأ كل شيء من
حولها وهي تتأمل في دهشتها، حتى عادت لوعيتها من جديد.

حين مدّ يده ليصافحها بابتسامة مليئة بالعفوية، فاستيقظت من شرودها واستيقظ كل شيء حولها مرة
أخرى، ومن ثم أخرج هاتفه من جيبه سريعاً كأنه تذكر شيئاً، ثم قام بالكتابة مشيراً لها أن تقرأ ما قام
بكتابته، فوجدته قد كتب اسمه:

- سليم.

نظرت للشاشة، ثم أعادت النظر إلى وجهه في شرود.

أعطاه الهاتف برفق؛ لتكتب اسمها، فأخذته من يده، ثم قامت بكتابة اسمها وأناملها ترتعش، وبعد
أن أخذ هاتفه أوماً لها برأسه ليحييها، ثم رحل صامتاً، وتركها متجمدة في مكانها.. استدارت فجأة

في توتر ويعتريها شعور بالذنب وهي متجهة نحو مدخل العمارة، وقد فهمت لماذا لم يكن يرد عليها في كل مرة.. لم يكن الرجل يمكنه سماعها منذ البداية.. لقد ظلتمته بشدة.

حاولت أن تحبس دموعها في ألم، لكنها رغماً عنها انخرطت في البكاء، ودخلت المنزل سريعاً.. أزاحت الستار من أمام النافذة، وأخذت تراقب شرفته من جديد، فخرجت أمينة من الغرفة وهي تسألها بنبرة قلقة: في حاجة يا سدر؟

فالتفتت سدر لها:

- لا يا أمينة نامي انتي.

فاقتربت منها أمينة، ثم قبلت رأسها بهدوء، وعادت إلى الغرفة..

ظلت سدر ماكثة أمام النافذة تنتظر ظهور سليم، وبعد وقت من الانتظار رأت رجلاً آخر من الواضح أنه كان يعيش مع سليم، وأنه وهو يغلق وراءه الباب الزجاجي، فأصابها الخيبة، ولم تعد تكثر له على الإطلاق.. ووقفت سدر تتأمل الأمر برمتة سارحة، ولا تكف عن التفكير في سليم.

كان ذلك الرجل الجالس مكانه هو «هشام» زوج عمّة «سليم»، والذي يقاربه في العمر، نهض فجأة من على المقعد حينما اشتدت الأمطار، وكان السماء انشطرت نصفين، لتمطر شلالات باردة، ودلف إلى الداخل كي ينضم إلى سليم الذي كان يجلس أمام عمته «نازلي» على مائدة الطعام الطويلة يتناول العشاء معهما، ولا تكف نازلي عن التحديق في سليم، وأخذت ترميه بنظرات جافة وهي تضع الملعقة في فمها.

إلى أن تقوه هشام بنبرة لامبالاة:

- خفي عليه يا نازلي شوية.

فقال في حنق:

- نفسي أخلص بقي منه أنا تعبت!

- تخلصي منه ونروح إحنا في داهية؟ إنتي عارفة إنك مش هتورثيه لوحدك زي ما قلت لي، وبعدين يعني يا نازلي مصاريفه في الشهر مش بتعدي الألف جنيه أساساً، وانت مصاريفك فوق آلافات.. وواحدة كل فلوس أبوه.. وميراثه كله إنتي المتحكمة فيه، هستفيدي إيه يعني ولا هتفرق بإيه إن كانت كل حاجة باسمك ولا باسم سليم يعني؟ ده سواء فيلا الساحل أو الأراضي وحتى البيت الطويل العريض دا مش واخذ منه غير الأوضة اللي قاعد فيها والبلكونة.. وأهو ولا بيسمع ولا بيتكلم! يعني كأنه تقريباً مش موجود.

ردت في ضيق:

- طب اسكت اسكت.. عايزاك تاخذ بالك من خروجاته كويس اليومين دول قلبي مش مرتاح، حاسة إن فيه حاجة غريبة بتحصل.

- اشمعنى يعني؟؟

فقلت بعد تفكير:

- فاكِر البنِت اللي ساكنة قدامنا، وكانت عايزة تعمل مشكلة لما لقته قاعد في البلكونة؟

- أيوا يعني ما لها؟

- لقيته واقف معاها إمبراح بالليل في الشارع.. أنا مش عايزاه يستقوي بيها علينا.

- على فكرة يا نازلي سليم مش أهبل زي مانتي فاكِرَة، ده ممكن يطردنا من البيت في أي وقت لو هو حايب..

ثم أكمل وهو ينظر لسليم بطرف عينه:

- وهو واثق إنك بتتكلمي عليه دلوقتي، ولو رفعتي عليه قضية عايزة فوق عمرك عمريين عشان تكسيبها، وماتتسيش إن سليم مهندس معماري، وطول عمره كان ناجح في شغله.. يعني تقريباً مش محتاجنا في حاجة إحنا اللي محتاجينه.. ولولا الملامة مكانش زمانه وحيد، هو بس قرف من الناس، وشاف إن البعد عنهم غنيمة! بعد ما أقربهم ليه اتخلوا عنه.

قالها بغضب ثم نهض من على المقعد وهو يختتم حديثه في يأس شديد:

- أنا داخل أنام!

وتابع بصوت مرتفع من داخل الغرفة:

- خلي بالك يا نازلي سليم ممكن أوي يكون سامعك. السماع مش بس بالودان.

جحظت عيناها خوفاً، ونظرت لسليم في ارتباك، فضاقت عين سليم بابتسامة جافة، ثم أشار لها أنه ذاهب للنوم، وظهرت ابتسامته أكثر وضوحاً على شفثيه..

عند نومه تبدأ الأحلام في زيارته مثل كل مرة، الأحلام التي لطالما تمنى حدوثها، والتي كان يعلم تمام العلم أنه لو تحقق له ما يريد، وأجابه الصوت الذي طال انتظاره لذهبت كل مشاكله إلى الجحيم.

* * *

في اليوم التالي كانت سدرا تجلس داخل غرفة صغيرة لم تدلف إليها منذ أن عادت من الولايات المتحدة، تجلس على مقعد طويل أمام مسند لوحة الرسم، ويدها فرشاة، وقبل أن تشرع في الرسم لوهلة تذكرت طليقها والكوايس التي جعلها تحياها، فنفضت رأسها، دخلت أمينة فجأة بابتسامة مليئة بالحيوية ويدها فنجان من القهوة أعدته لسدرا، ثم قالت بنبرة تملؤها السعادة: عندي ليكي خبر حلو، فالتفتت لها سدرا بابتسامة عريضة ثم قالت: ها قولي!

- عارفة مين بره؟ أنكل إبراهيم ومعاه الولد اللي ضرب الرجل اللي اتهم عليك من يومين.

لمعت عين سدرا لإراديا، لكنها تظاهرت بعدم الاكتراث، ولملمت شتات نفسها سريعا ثم قالت:

- طب شوفيهم يشربوا إيه وأنا جاية حالا!

رمقتها أمينة بنظرة ماكرة وهي تسير في طريقها للخارج. التقت سدرا وباغتتها بضربة خفيفة على كتفها، ثم توجهت نحو المرأة سريعا؛ لكي تلقي نظرة على وجهها.. تنهدت بخفوت ثم توجهت سريعا خارج الغرفة!

بعد أن رحبت سدرا بسليم وإبراهيم، توجهت نحو نوافذ المنزل وأزاحت جميع الستائر حتى اخترق ضوء الشمس جميع زوايا البيت، فأردف إبراهيم بابتسامة هادئة وهو متجه إلى مقعد أمام النافذة الضخمة:

- الجو لطيف أوي!

اقتربت سدرا من سليم في حيرة من أمرها، لا تعرف كيف تتواصل معه.. أخرج «سليم» من جيبه هاتفه، ثم فتح المذكرة، وكتب بابتسامة هادئة:

- بتحبي الموتوسيكلات؟

فانتزعت منه الهاتف دون تفكير، ثم كتبت وهي تبتمس:

- بحب وبعرف أسوقها، إيه رأيك نروح سوا ride جماعي يكون الصبح بدري؟

أوما لها بالإيجاب وعينه مليئة بالحماس.. فوضعت يدها على فمها، مشيرة له أن يلتزم الصمت بشيء من الدعابة، وأن يُبقي ذلك سرا بينهما.. فأوما لها بالإيجاب مرة أخرى، وقد اتسعت ابتسامته.. ووجدتها سدرا ساحرة تخطف القلب.

قاطعهما إبراهيم بحماسة:

- ما تيجوا ناكل بره؟

التقت له سدرًا مبتسمة: مفيش مانع.

ثم أعادت النظر لسليم بعينين لامعتين وابتسامة مليئة بالحيوية، ثم جلبت هاتفها لتكتب له ما اقترحه إبراهيم عليهما. فلم يمانع، ثم مدت يدها، وأعطته الهاتف بعد أن كتبت رقم هاتفها كي يقوم بتسجيله.

في السادسة من صباح اليوم التالي كانت سدرًا تقف أمام النافذة في انتظار سليم، بينما ترتشف قهوتها في هدوء، مرتديةً جاكيت من الجلد واضعة الخوذة على المنضدة بجانبها، حتى استقبلت رسالة من سليم: مستيكي.

فردت سدرًا: أنا جاهزة.

ومن ثم وقفت سدرًا أسفل العمارة في انتظاره، وبعد مرور خمس دقائق أتى سليم راكضًا نحوها بابتسامة وهو يعتذر على تأخره، فنظرت ليده فوجدته يحمل خوذة، فأشارت نحوها بحماسة، ثم أمسكت يده، وخطت بخطى سريعة حتى وصلت للمرآب الخاص بالدراجة النارية التي تتشارك قيادتها مع كريم طوال الوقت.

حين شرعت في ركوبها، وقبل أن تتحرك أشار لها بطرف عينه مازحًا أن تترك له مسئولية القيادة.. بادلته نظرة ثقة، فركب سليم أمامها.. تعتلي ملامحه الهادئة ابتسامة عذبة، وانطلق سليم بالدراجة النارية وهي تحتضنه من الخلف، وتستند رأسها على ظهره.. وللمرة الأولى في حياة سدرًا شعرت بإحساس ممزوج بالأمان والدفء.. إحساس راودها للمرة الأولى تقريباً مع رجل لا يتكلم ولا يسمع، وبالكد تعرفه ولا تعرف عنه شيئاً..

قضايا معًا نهارًا لا أفضل منه لكليهما، واقترحت سدرًا بجنون عليه أن يتوجها إلى العين السخنة؛ فهي لا تبعد أكثر من ١٠٠ دقيقة بالدراجة النارية.. فوافقها مشاركاً إياها حماسها وحنونها الذي أحبهما سريعاً..

كانت سدرًا تنوي أن تجعل البحر شاهداً على ميلاد وبداية حب تتمنى أن يكون حقيقياً، كما بات واضحاً في عيني كل منهما.

(٤)

شاطئ ما في العين السخنة

جلس سليم بجانب سdra أمام البحر، ظلاً يتأملانه في هدوء وسكينة، حتى أخرجت سdra هاتفها من الخوذة، وشرعت في الكتابة: إنت بتؤمن بالحب من أول نظرة؟

قبل أن يجيبها فكر سليم وشرد قليلاً، شرد وهو يتذكر آخر مرة سمع ذلك السؤال.. يتذكر حينذاك رائحة أثاث منزله القديم عندما كان لا يزال صغيراً جداً، بينما والده ينظر لوالدته مبتسماً ابتسامة وداع، وهي تسأله هذا السؤال، لكنه لم يسمع إجابة والده أبداً عندما وضع أحدهم يده على كتفه، وهو يقول له بنبرة طفولية:

- بابا وماما قالوا لي إني هشوفك تاني.. أنا سألتهم.

تختلط رائحة أثاث المنزل القديم واللقاء الذي لم يتكرر أبداً برائحة الأحلام التي كانت تسكن عقل سليم، وهو يحاول فتح عينيه بصعوبة بعد كل مرة يتذكر فيها هذا اليوم، خاصة بعدما فقد القدرة على السمع والتحدث.

عاد من شروده لتضع سdra شاشة الهاتف أمام وجهه، فابتعد برأسه للخلف ضاحكاً، وبعد أن قرأ للمرة الثانية انفلتت منه ضحكة، ثم بدأ يكتب:

- لا أنا مؤمن بالشفقة من أول نظرة.

نظرت إلى إجابته، ثم أعادت النظر له غاضبة:

- شفقة؟! إيه؟ أقصد إيه اللي يستدعي الشفقة.. أنا سؤالي صريح ومباشر.

ثم أكملت: آه ولا لأ؟

كتب سليم بابتسامته الهادئة:

- مش عارف يا سdra، أنا عمري ما حبيت الحب اللي قصدك عليه!

- احكي لي عنك شوية يا سليم.

ثم مدت يدها قليلاً لتعطيه الهاتف، وقبل أن يقوم بالإجابة أخذت الهاتف منه سريعاً بابتسامة حانية بعد أن خطر بعقلها فكرة، ثم قامت بتحميل الواتساب، وبعد أن انتهت أعطت له الهاتف، وهي تشير

له بيدها على الشاشة.

ردّ بحزن كاتباً:

مش بستخدمه تقريباً.. إنتي أول حد يحسني إن أنا موجود ومحتاجه.

قرأت رسالته فارتسمت على وجهها ابتسامة خجل، وتناثرت خصلات شعرها على عينيها، فأزاحها برفق وهو سارح في وجهها.. فأخذت منه هاتفه سريعاً، ثم فتحت الكاميرا لتلتقط صورة لهما سوياً، وقامت بإرسالها لهاتفها؛ لتضعها هي الأخرى على الواتساب.

وأصبح الواتساب هو وسيلة الاتصال الوحيدة لتواصلهما معاً..

وبينما هي تجلس شاردةً وجدت سدرًا نفسها تبتسم، ولم تعلم لماذا تخيلت في هذه اللحظة تحديداً أن جدّتها كانت تبتسم لها من بعيد.. بينما غرق سليم في عالم آخر، العالم الذي يخفي شخصية وحيدة لم يجرؤ على الخوض في سيرتها بعد.

لم يكن أحمد طليق سدرًا الذي يحيا عمره بأكمله في الولايات المتحدة شخصاً طبيعياً، كان بإمكان أي شخص أن يدرك هذا بمجرد الحديث معه، كان مثلاً حياً للشخص المدلل المختل الذي اعتاد أن يأخذ كل شيء أراده، كيرياؤه وعناده كانا دوماً أهم صفات شخصيته، ولهذا كان اتفاقه واضحاً مع أيمن بعدما تعرّف على كريم، ذلك الاتفاق الذي يشمل عدم إخبار أي أحد بعلاقة الصداقة التي تجمعهما؛ لأنها ستشكل مصدر تهديد للجميع نوعاً ما، ولكن القدر كان له تصرف آخر في إحباط محاولات أحمد بأن يمتلك تلك القنبلة الموقوتة في يده طوال الوقت، حيث تمكّن كريم من اكتشاف علاقة الصداقة الملعونة رغم كل شيء..

ففي فندق الفور سيزونز الموجود في منطقة جاردن سيتي، وفي تمام الساعة الثامنة مساءً كان كريم مستلقياً داخل حوض الاستحمام المليء بالماء الساخن، سارحاً في حياته وما يريده من هذه الدنيا.. ولم يكف عن القلق والخوف من أيمن صديقه الجديد بعدما رأى الصورة التي تجمععه بطليق سدرًا، وأدرك أنها على معرفة ببعضهما.. وأن صداقة أيمن له ربما لم تكن عفوية تماماً كما ظن.. وعلى الرغم من أن كريم كان يتظاهر دوماً بأن زواج سدرًا كله لم يحدث لمراعاة شعور الأخيرة، إلا أن شعور القلق لم يفارقه منذ فتحت سيرة أحمد من جديد، أخذ هاتفه بعصبية من جانبه بعد أن قام بتجفيف يده، وفتح الواتساب لإرسال رسالة لسدرًا يحكي لها بخصوص أيمن وما اكتشفه.. لكنه ظل متردداً لبضع دقائق عندما رأى صورتها مع سليم.

بعد أن قام بفتح الصورة بشكل أكبر ظل التردد يسكن قرارة نفسه، وشعور قوي ينمو داخله بالألا يفسد فرحتها، رفع هاتفه مرة أخرى ليتصل بإبراهيم.. فور أن رد إبراهيم قال كريم مباشرة:

- أنا محتاج أتكلم معاك!

- صوتك يقلق يا رب خير؟

- إن شاء الله خير.. لكن محتاج نتكلم فعلاً.

- طيب استريح النهارده وبكرة الصبح هكون عندكم.

قاطعته كريم بنبرة حادة:

- أنا مش في البيت وسدرا ماتعرفش إني في فندق.

ثم أكمل بنفس النبرة الحادة:

- ومش عايزها تعرف نهائي!

اندهش إبراهيم من أسلوب كريم الذي بث فيه بعض القلق، وأطفأ حماسه، وتبدلت نبرة صوته لقلق كبير:

- قل لي مكانك، وأنا جايلك كمان ساعة!

كانت سدرا تترقد في فراش منزلها بعد وقت طويل قضته في رفقة البحر، وبعدما غمرت السعادة نصف قلبها، لكن النصف الآخر يغمره القلق من شيء لا تعلمه، قطع شرودها جرس استقبال رسالة على الواتساب سحبت الهاتف سريعاً لتجد رسالة من سليم:

- وحشتيني.

شعرت بسعادة تغمر روحها، وهربت دمعة فرحة من عينيها.. شعرت للمرة الأولى أنها إنسانة سعيدة.. ردت دون تفكير:

- وانت كمان وحشتني.

- ليه منمتيش؟

- أنا مبنامش يا سليم، لو كنت بنام مكنتش عرفتك، أنا كنت بفضل أراقبك من ورا الإزاز طول الوقت.

- كنت بشوفك وكنت ببقى مبسوط، وكنت بخاف أقرب منك، كنت كل يوم بشوفك بتمشي مع سيزر الصبح.. وكان دائماً عندي فضول أعرف إيه اللي ورا الحزن اللي في عينيكى وبتدريه دائماً بنظراتك الحادة.. بس كنت بخاف منك.. كنت بخاف أقرب منك.

دمعت عينا سدرأ أكثر وهي تقرأ كلمات سليم، ثم كتبت:

- سليم، خليك معايا بأي شكل من الأشكال، أنا كنت محتاجالك من زمان، كنت عايزاك معايا، أنا فضلت مستنياك كتير.

كتب لها بأنامل مرتعشة:

- أنا تقريباً مبضحكش، ولا بعيط، قضيت حياتي لا حزين لا سعيد، والنهارده يا سدرأ خليني أضحك الصبح، وخليتي عينيا تدمع دلوقتي.. خليكى معايا.

أجابت بسعادة بالغة: هفضل معاك.. دا وعد.

ثم وضع سليم الهاتف جانبه في هدوء بابتسامة تحمل طمأنينة العالم بأكمله..

وفي صباح اليوم التالي قامت سدرأ بعد نوم عميق لتجد بجانبها بوكيه ورد ضخماً، فضلت ترمقه باستغراب، ثم قامت بالنداء على أمينة، فجاءت أمينة وهي تنظر إليها بنظرات لامعة تحمل بعض الخبث قائلةً بصوتها الذي تكسوه الرقة:

- إيه عاملة قلق ليه؟

كانت سدرأ ما زالت تنظر إلى الورد بعينين لامعتين، وبنظرات طفولية ثم سألت بحماس:

- مين اللي جاب الورد دا؟

ردت أمينة:

- الجمال الصامت بتاعك هو اللي جابه.

- مين؟ سليم؟!

فجلست أمينة على طرف الفراش بابتسامة واسعة، وأخذت هاتفها لتحدثه، فوجدت رسالة باللغة الإنجليزية من سليم:

Selim: Good Morning

ناولت الهاتف لسدرا فردت:

Loved the flowers.. Thank you

Selim: Lunch together?

Sedra: Sure!

Selim: Great

Message Delivered

وفي نفس الوقت استقبلت سدرا رسالة من إبراهيم:

- أنا محتاج أتكلم معاكي ضروري.

قلقت من طبيعة الرسالة، فردت:

- في حاجة؟ قلقتني!

- أنا جايلك حالاً في الطريق!

قامت سدرا بإرسال رسالة لسليم أن الغداء سيكون بمنزلها؛ نظراً لزيارة إبراهيم المفاجئة! وبعد مرور ساعتين دقّ جرس الباب، وكان إبراهيم.. بدا أنه في عجلة من أمره، جلس في مكان استقباله المعتاد.. نظرت له سدرا باستغراب، ثم سألته: فيه إيه يا إبراهيم؟ قلقتني جداً

- هو أحمد لسه بيحاول يوصلك يا سدرا؟

خفق قلب سدرا بشدة، وسقط بين قدميها.. تبدلت ملامحها، وتبدل لون وجهها إلى اللون الأصفر الباهت، ثم قالت بصوت مرتعش:

- ليه؟ فيه حاجة حصلت؟

- سدرا أنا مش بحقق معاكي، دي حياتك، أنا اللي قلقتني إن كريم نفسه قلقان.. وإنتي عارفة.

انتبهت من شرودها قائلة:

- كريم؟؟ ما له كريم..

اعتدل إبراهيم في جلسته، وهو يشعل سيجارة قائلاً بنبرة بها شيء من الحيرة:

- صاحب كريم الجديد.. اللي اسمه أيمن ده.. طلع هو نفسه صاحب أحمد، بس طبعا إحنا ماكانش نعرفه وقت ما كنتي متجوزاه لسه؛ لأن واضح إنهم أصحاب من فترة قصيرة لسه، بس علاقتهم بقت قوية، وده اللي مخوف كريم من أي محاولة تعاون بينهم، حاسس إن فيه خيانة في الموضوع أو حاجة بتتدبر، خصوصاً إن أيمن خبي عليه ومكانش واضح وصريح معاه من الأول.

في تلك الأثناء رنّ جرس الباب مجدداً، فالتفتت سدرا في ارتعاد عندما وجدت سليم بعد أن قامت أمينة بفتح الباب.. هرعت نحوه بابتسامة كأن وجوده في تلك اللحظة أزاح خطراً ما!! وكأن سيرة أحمد قد أعادت لها ظلمة الحياة مرة أخرى، وتخيلت ابتسامة جدتها تتلاشي، لكنها تعود مرة، وتعتلي وجهها مع قدوم سليم.

* * *

عاد سليم إلى منزله الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.. جلس مستقيماً في فراشه يشاهد فيلماً، بجانبه كلبه «سبيد» ممدداً بجسده على الفراش، كان منشغلاً بجانبه الخاص الذي يتقد في عقله الباطن كلما جلس وحيداً، وأمسك بهاتفه كي يكمل روتين يومه الذي اعتاد فعله في السنوات الأخيرة. بينما تجلس سدرا بمنزلها في حيرة تعصف بها الأفكار المقلقة.. وكيف ستواجه أحمد إن حاول الوصول إليها من جديد، فهي لم تعد تقوى على المواجهة مهما حدث، استنزفها أحمد في أمريكا، وهربت بنفسها بصعوبة، وتشعر بأنها لا تستطيع أن تعيد المواجهة مرة أخرى.. خاصة أن ذكره وحدها قادرة على إتلاف روحها في ثوانٍ.

بعد دقائق قررت أن تستجمع قواها، وأن تبعث لكريم رسالة عبر الواتساب تشرح له الأمر برمته، وتحاول إقناعه بالرجوع إلى المنزل، أخذت هاتفها، وجلست على الفراش، ثم شرعت في كتابة الرسالة، وفور إرسالها استقبلت للتو رسالة من سليم:

- ما تيجي نسافر ثاني بكره؟

ارتسمت على وجهها ابتسامة ناعمة، وكأنه دائماً ما يأتي ليجعل جميع أوجاع العالم تتلاشى.. ثم أجابته:

- يا ريت، بس مانطولش.

- ما اظنش بيتهيألي المرادي هنطول جداً.

- وناخد سيزر وسبيد معانا.

- اتفقنا.

في تمام الساعة السادسة صباحًا حزمت سدرًا حقيبتها، بعد أن تركت رسالةً لأمنية، ثم جلست تنتظر حتى ينتهي سليم هو الآخر من تجهيز حقيبته.. بعد ربع ساعة أرسل لها رسالة أنه بانتظارها في سيارته بالشارع الخلفي.. توجّهت نحو الباب وهي تشير لسيزر بصوت خافت بالخروج بعد أن فتحت الباب بهدوء، تجرُّ خلفها حقيبتها الصغيرة حتى التقت بسليم داخل سيارته، ثم انطلقا، وبعد ثلاث ساعات وصلا الإسكندرية، وتحديدًا العجمي، وبعد أن كان يحوم القلق بداخلها؛ خوفًا من الطريق شعرت بالاطمئنان لحظة وصولهما.

نزلت سدرًا سريعًا من السيارة نحو باب الفيلا، تحاول الهروب من الرياح الثقيلة، وخلفها سليم تلعف البرودة وجهه، ويجمد الصقيع أطراف أصابعه، نزل سليم من السيارة يلف حول عنقه كوفية سوداء من صوف، ولفت نظره شكل البيت.. وقف يتأمله من الخارج بعينين ضيقتين، بيت ساكن لا منازل كثيرة حوله يشبه بيوت الأساطير والحكايات القديمة.. مطلاً على البحر أشبه بكهف مهجور يكسو وجهته حائط متآكل يتسلقه نبات متشعب يحتضن الجدران بشدة، وكأنه يخشى السقوط، وحينما دخل سليم وراء سدرًا شعر بدفء يغمره رغم الصقيع الذي يتسلل إلى جسده.

فور دخولهما قامت سدرًا سريعًا نحو المدفئة لتشعلها، بعد أن اطمأنت لوجود تيار كهربائي بالمنزل، ثم قامت بتحضير الطعام لسبيد وسيزر.

جلس سليم على أريكة قديمة تحمل تفاصيلها عبق الثمانينيات.. فتح عينيه بالحاح شديد، لكن في النهاية حتى استسلمت عيناه للنعاس.. بعد أن انتهت سدرًا من تفريغ الحقائب وجدت سليم مستغرقًا في نوم عميق، فصعدت إلى الطابق الثاني؛ لتحضر له غطاءً كي تدثره، وجلست على المقعد أمام الباب الزجاجي لحديقة البيت تتأملها وتحسني القهوة في سكينه. بعد عدة دقائق اهتز هاتفها لاستقبال رسالة من رقم غريب تقول:

- لطيفة أوي صورة الواتساب، بس مين دا يا سدرًا؟

دون تفكير طويل أدركت أنه طليقها أحمد.. فألقت بالهاتف إلى جوارها بعد أن اعترها شعور بالخوف الشديد والضيق، ثم أخذت الهاتف مرة أخرى، وقامت بحظر الرقم الغريب دون تفكير!

بحلول الساعة العاشرة ليلاً جلست سدرًا على الرمال، ثم أشارت لسليم بالجلوس في حماس بالغ، وابتسامة واسعة بعدما كانا يتقاديان وجودهما في المنزل معًا في آن واحد، جلس بجانبها في هدوء يتأمل البحر في سعادة، ويستنشق الهواء باسترخاء.. ارتمت سدرًا برأسها على صدره، فضمها إليه، حولهما سبيد وسيزر، وظلت سدرًا سارحة في نجمة متألئة في قبة السماء الممتدة أمامهم.

وجد سليم جانبه عصي صغيرة التقطها، وأخذ يرسم ويكتب بها على الرمال.. انحنت سدرًا بجسدها لترى ما يكتب، فوجدت اسميهما، فنظرت إلى وجهه مجددًا، وبعد أن فتحت كاميرا الهاتف، والتقطت صورة لما كتبه سليم على الرمال، وقامت بإرسالها له وضعت رأسها على كتفه تحتضن ذراعه كالطفل، ثم رفعت رأسها، وأخذت هاتفها وكتبت:

- إنت عارف؟ أنا بحب الشروق أكثر من الغروب.

بعد أن قرأ الرسالة أجبها:

- إنتي مؤمنة بالحياة يا سdra، وبتحبيها وعمرك ما بتقدي الأمل في أي شيء.. رغم كل اللي حكيتيهولي إنتي لسه إنسانة قوية..

ارتسمت ابتسامة واسعة على وجهها بعد أن قرأت الرسالة، ثم خبأت رأسها فيه أكثر وأكثر.

فضحك ضحكة هادئة ولم يكثرث للأمر.. بعد لحظات شردت في التفكير، وبدأت تحادث نفسها وهي سارحة دون أن يسمع:

- صدّقني أنا حسّيت إنك عندك قلبين؛ قلب هنا وقلب خلاص بقى معايا للأبد، ثم استنشقت الهواء بعمق وهي تغمض عينيها..

ثم تنهدت قائلة:

- أنا بحبك أوي يا سليم.

في منزل سليم كانت عمته نازلي تستلقي داخل غرفتها على فراشها الضخم، وقد جلس زوجها بجانبها يتفقد هاتفه في ملل، فنظرت له بتجهم وسألت:

- يعني دورت عليه كويس!

فتهد دون مبالاة:

- هلاقيه فين يا نازلي؟ وأدور عليه فين؟ هو عيل صغير؟ بكرة يرجع.

ثم التفت لها قائلاً بنبرة استخفاف: خير؟! تكونيش خايفة عليه بجد ولا إيه؟!!

صرخت في وجهه، فانتفض من جانبها قائلاً في ضيق:

- بقولك إيه أنا سايبلك الأوضة وهنام في أوضة سليم!!

في صباح اليوم التالي، استيقظت سdra مبكراً، ولم تجد سليم في الطابق السفلي من المنزل.. ظنّت أنه ذهب لشراء شيء، فبعثت له رسالة على الواتساب، ولكنه لم يرها فراودها بعض القلق.. سعدت

إلى غرفتها سريعاً؛ لترتدي معطفها، ثم انتظرت لحظات، وقامت بالاتصال به لعله غير منتبه، فوجدت هاتفه مغلقاً، ولم تصل الرسالة التي أرسلتها منذ قليل.. ازداد القلق بداخلها، وأسرعت نحو السُّلم ونزلت سريعاً وهي تنادي سبيد وسيزر، وخرجت تبحث عنه عند الشاطئ، ثم توجهت إلى السوق ولم تجده..

عادت إلى الشاطئ مرة أخرى جالسةً على الرمال تحتضن ركبتيها بتوتر بالغ ووجه مكفهر، وبعد دقائق قليلة شعرت بيد سليم على كتفها، فانتفضت ودون أن تلتفت له نهضت وهي تنتفض معطفها بعصبية، ثم توجهت نحو البيت بخطوات فيها شيء من الغضب.. أخذ يسرع الخفى خلفها ليلحق بها حتى وصلا، ودفعت الباب بيدها في ضجر، ثم دلفت إلى المطبخ، ومن ورائها سبيد وسيزر!

وضع سليم هاتفه في الشحن، فوجد عدة رسائل منها على الواتساب، ومحاولات اتصال به، ففهم سبب غضبها، فتوجه إلى المطبخ، حيث كانت تقوم بطهي الغداء، وقبل أن يقترب منها دفعته بجفاء!

صعد إلى غرفته بخطوات منكسرة، وبعد مرور ساعة، صعدت سدرا كي تخبره بأن الغداء جاهز، وحين فتحت الباب ووجدها أمامه انتفض وأخفى شيئاً خلف ظهره، تظاهرت بعدم الاكتراث، ثم قالت بنبرة حادة: كنت بندهك عشان تتعدى! ثم وقفت ترميه بنظرات حادة.. تعلم أنه لم يسمعها، لكنها تشعر بأنه فهم كلامها.. أشارت له بيدها أن الطعام جاهز! ثم تركت الغرفة، ونزلت إلى الطابق السفلي، فنزل وراها.

سحب الكرسي الأمامي لها وهو يرمقها بنظرات حائرة، بينما هي تتعمد تجاهله، وتتحاشى النظر إلى وجهه.. يكسو ملامح وجهها غضب واضح!

نهض فجأة، واتجه إلى الحمام، وبدا على ملامح وجهه الضيق، ظلت تراقبه بصرها خلسةً، وحين رآته قادماً عقدت حاجبيها، وأشاحت بنظرها عنه مرة أخرى، وظلت ترمقه بطرف عينا حين وجدته يقترب منها، حتى وقف وهو يُخرج شيئاً من جيبه، فتمهلت قليلاً حتى وضع حول عنقها سلسلة ذهبية تحمل قلادة ضخمة.. أخذت تتحسسها بأناملها وقد اختفت علامات الغضب من على وجهها، فاستدارت له وجذبتة لها، وأخذته في عناق طويل جعلها تشعر بمدى حبه لها.. ثم أخذت الهاتف وهي ما زالت بين ذراعيه وهو سارح في ملامحها وهي تكتب بتأثر شديد:

- أرجوك يا سليم ماتخنيش فجأة، دا مُتعب جداً ليا.. ساعدني أكون أحسن..

بعد أن رأى ما كتبتَه ضمَّها إليه مرة أخرى دون تفكير، وما إن استقرَّ رأسها على صدره حتى رفع لها هاتفه، وهو يحمل سؤالاً كانت سوف تنتظره لاحقاً لأشهر طويلة لكنه قرر أن أوانه قد أن.. كتب لها:

- تتجوزيني يا سدرا؟

* * *

(٥)

عاد كريم إلى البيت بعد أسبوع من ابتعاده، أدخل المفتاح إلى القفل، وفتح باب المنزل؛ إذ كان يخيم الظلام في كل زوايا المنزل، وتفوح منه رائحة السكون.. ارتمى بجسده على الأريكة في خمول، وراح يتنهد في ملل، فنكسر أنفاسه الصمت الذي يسود البيت..

أخرج هاتفه من معطفه، ثم نهض في هدوء ليقوم بشحنه، ثم توجه نحو النافذة، وظل يرمق الشارع وكأنه أتى مصطحبًا معه كل هذا السكون، وفجأة رنَّ هاتفه، فتوجه نحوه ليجد أيمن صديقه.. ردّ:

- أيوه يا أيمن..

- أخيرًا رديت! مختفي فين يا كريم بقالك فترة؟

- أنا عايز أتكلم معاك، أنا في البيت، تقدر تيجي.

- ساعة وأكون عندك.

كانت سدرا تحزم الحقائب استعدادًا للعودة، وغادرا المكان معًا، وأثناء عودتهما جاء اتصال لسدرا من أمينة تسألها:

- سدرا إنتي فين؟ كريم رجع البيت قلت أقولك.

- أنا راجعة خلاص في الطريق، بالليل بالكثير هكون هناك إن شاء الله.

- أنا كنت بظمن عليك، وبصراحة أنا جياالك النهارده علشان أومي مسافرة تاني.

فقال سدرا في مزاح:

- لا كدا كثير، بس ماشي، يلا أشوفك النهارده.

وبعد أن أنهت المكالمة مع أمينة نظرت لسليم نظرة عميقة بابتسامة واسعة، فبادلها نفس النظرة، ثم عانق يدها بكفه، وواصل الطريق..

رنَّ جرس منزل كريم بشكل متواصل.. فتح كريم الباب وهو يتنأب، فدخل أيمن يسأله:

- إنت لحقت نمت ولا إيه؟

- لا صاحيلك! هعمل قهوة وأجيلك.

جلس أيمن على الأريكة يعبث بالمطفأة الموضوعة على المنضدة الصغيرة جانبه، حتى جاء كريم يحمل معه كوبين من القهوة، ثم سحب مقعداً وجلس أمام أيمن، انحنى نحوه قائلاً بنبرة قاتمة:

- من غير لفّ كثير.. عايز أعرف حاجة..

ثم أشار بيده:

- إنت كنت عارف موضوع جواز سدرا من أحمد؟

ثم أكمل بنبرة تحمل شيئاً من التهديد:

- لو كنت عارف عايزك تعرفني كل حاجة!

بدت على أيمن علامات ارتباك مفاجئ.. بدأ يتحدث مبتلعاً توتره، ثم قال بنبرة بها ثبات مصطنع:

- أنا بصراحة كنت عارف بس ماعرفش أي تفاصيل عن سبب انفصالهم، أحمد كان زميلي في الشغل، وبعدها بقينا أصحاب بشكل كبير، لكن كان ساعتها مطلق سدرا بالفعل، ومفيش أي صلة تربطكم ببعض، ولما عرفت منه قالي ماجيبش سيرة عشان مايحصلش شوشرة، خصوصاً إنني مش حابب أخسرك.

ردّ كريم بدهشة: وانت بكذبك عليّ لسه هتخسرنى؟ إنت خسرتني بالفعل يوم ما خبيت عليّ إنك تعرف المجرم ده؟

فأجابه أيمن وما زالت علامات الارتباك على وجهه:

- فيه إيه يا كريم؟ أنت هتحقق معايا؟

هنا أكمل كريم بنبرة صوته الحادة:

- عايزك تركز أوي في اللي هقولهولك، أحمد راجع قريب! ولسه بيضايق سدرا من أرقام في رسائل ومكالمات غريبة..

ثم أكمل بنبرة تهديد مغلفة بالاتزان والهدوء:

- شوف عايش في أمريكا بقاله كام سنة؟ ولسه ميعرفش إن في حاجة اسمها تروكولر بيطلع على الأقل كود البلد! أحمد لازم يعرف إن فيه تار ما اتدفعش.. ولسه فاتورته بتعدّ، الحاجة الثانية يا ريت

توصّله إني عندي فكرة عن نوعية شغلكم انتوا الاتنين، وممكن أخليه مايعتبش مصر تاني! تالت حاجة ياريت توصله إني بدور وراه كويس جدًّا.

ثم اقترب منه مردفًا بابتسامة باردة:

- أصل أنا فضولي أوي!

ثم تنهد في النهاية قائلاً: بلِّغ صاحبك الكلمتين دول وحياتك.

* * *

بعد مرور ثلاث ساعات وصلت سدرًا المنزل، ودلفت إلى المصعد، ومعها سليم والكلبان، وأخرجت هاتفها ثم كتبت لسليم:

- هتقابل كريم ابن عمي دلوقتي.

وكان ذلك بعدما أخبرت كريم أن ينزل، وينتظرها في شقتها، أوماً لها سليم بابتسامة حماسية، وبمجرد أن فتحت باب المنزل انطلق سيزر نحو كريم، حيث كان جالسًا يتأمل سيجارته، قفز كريم من على المقعد يلهو مع سيزر..

ظل سليم واقفًا خلفهما في خجل فانتهبه كريم لوجوده، فتساءل بعينيه، ثم انحنى يهمس في أذنها بمزاح:

- الشاب ده من اليونان؟

فانت منها ضحكة:

- دا سليم.

ثم شدت يده برقة وخجل.. نظر إليها كريم، ورحب بسليم بشدة، فأشارت سدرًا لسليم بالجلوس، ثم أخرجت هاتفها وكتبت:

- هعمل قهوة وبعدين هنتعشى كلنا مع بعض.

فرنَّ هاتف سليم بوصول الرسالة، فأوماً لها بالإيجاب، بينما كان كريم يراقبهما باستغراب، ثم أردفت سدرًا:

- أنا هعملك قهوة معانا يا كريم.

أوما برأسه بملامح متجمدة، ثم شرد قليلاً، وبدأ يبادل سليم الحديث بلغة الإشارة..

اندهش سليم بشدة، وبدأت على ملامحه السعادة، وتسرب إلى قلبه إحساس بالألفة تجاه كريم، وكأنه وجد ما كان يبحث عنه طيلة هذه السنوات في شخص آخر.. ظلاً يتبادلان الحديث بالإشارة، وبعد عدة دقائق خرجت سدرًا من المطبخ تتفقد هاتفها فانسعت عينيها، وتملكتها الدهشة غير مستوعبة ما تراه.. أثناء استغراقهما في الحديث ظلت محدقة بكريم للحظة، ثم قالت من المفاجأة:

- كريم!! إنت اتعلمت لغة الإشارة امتي؟

التفت لها بنظرة عتاب قائلاً:

- لما كنتي في أمريكا، أنا وأمينة كنا بنروح تقريباً كل يوم جمعية لأطفال الصم والبكم، أمينة كانت بتعلمهم الرسم، وأنا كنت بعملهم رحلات..

شرد للحظات ثم أكمل:

- بس في الحقيقة أنا اللي اتعلمت منهم كثير.

ثم نهض فجأة متهدداً، وأخبر سليم بأنه سيصعد ليرتاح قليلاً، ثم التفت لسدرًا بنبرة حماسية:

- لما الأكل يبجي صحيني.

وما إن فعل حتى نهض سليم من خلفه استعداداً للنزول؛ كي يتمشى مع سييد قليلاً. وأخذ الهاتف بيده ليكتب لها وهو يغلق الباب وهي تمسك هاتفها بين يديها منتظرة بشغف ما يكتب.. استغرق وقتاً طويلاً في الكتابة، وبقيت هي منتظرةً بشغف حتى وصلتها الرسالة.. كانت رسالة طويلة حيث كتب لها قائلاً:

- من ساعة مع عملت الحادثة مع أبويا وأنا صغير ماحسيتش إنني متضايق من الحياة.. أبويا كان حزين جداً، وقرر إنني لازم أكون أحسن من أي حد.. جابلي مدرّس من إنجلترا متخصص لحالتي علشان أتعلم اللغة، ومدرسين كثير ومتخصصين علشان أقدر أكمل تعليمي كأني شخص طبيعي، وفعلاً خلصت مدرسة ودخلت جامعة متخصصة، ومات أبويا وأقرب حد ليا، وكان وصيته إنني أعيش مع عمتي.. أمي معرفش عنها حاجة.. ما اعرفش ومافتكرش إنني شوفتها غير مرة واحدة بس، وتقريباً كانت المرة اللي بتودّعني فيها.. فضلت عايش مع عمتي «نازلي» فترة كبيرة، وبعدين قررت أرجع لببيت أبويا هنا؛ لأنني حسيت بالراحة أكثر، وكنت دايمًا بحس إن فيه جزء من روعي حي في مكان ثاني، ودايمًا بحس بالجزء دا مع نزول المطر، وبعد كده اكتشفت إنك إنني الجزء الحي من روعي اللي كنت مفنقه، إنني صحيتي حاجات كثير في روعي.. كل يوم بتخليني أسترد

الحياة واحدة واحدة.. حبك ليا وإصرارك على دخولك في عالمي الممل جدًا.. مش هنتقري تحسي الإحساس اللي جاني لما فاجأني كريم إنه بيعرف لغة الإشارة! إنتي خليتيني أفكر الكلام.

كانت سدرا تقرأ الرسالة الطويلة بين دموعها الغزيرة.. بعد أن أرسلها أخذت تقرأها أكثر من مرة، بينما تعتلي روحها راحة لم تشعر بها من قبل.. وفي الوقت ذاته كان كريم يفكر بينه وبين نفسه في سعادته لوجود سليم مع سدرا، واطمئنانه عليها للمرة الأولى منذ عودتها من أمريكا.. شعر بشكل ما بأنه مسئول عن الاثنين، سليم وسدرا..

بعد فترة اجتمعوا للغداء، وبعد أن انتهوا من تناول الطعام، وعاد كل منهم إلى منزله، توجه سليم نحو غرفته ببيته.. وكانت نازلي جالسة على الأريكة تنظر له في سخط، لكنه لم يكثرث لنظرتها النارية، وواصل سيره إلى غرفته.. لاحظ أنها نهضت تتبعه بغضب، وبدا له أنها تصرخ، ولكنه تظاهر بعدم الاكتراث، حتى دخل غرفته موصدًا الباب في وجهها، ثم ارتمى بجسده على الفراش وهو يتهدد، ويتمنى لو كان من يسكن معه شخص آخر لا من دمه فقط، بل يحمل الحب الذي ظل يكنه وحيداً كل هذه الأعوام.

فتحت نازلي الباب بعصية، وظلّت تصرخ فيه.. وفي تلك الأثناء كانت سدرا تحتسي القهوة خلف زجاج النافذة، وفجأة لفت انتباهها شيء داخل غرفة سليم، حين رآته يفتح زجاج شرفته في عصبية، ويتبعه سييد من ورائه ثم أوصد الباب الزجاجي.. وقف يشعل سيجارة لأول مرة، فأسرعت سدرا نحو هاتفها لتقوم بالاتصال به.. اهتز الهاتف في جيبه، فدخل إلى الغرفة، وبعد لحظات فتحت نازلي باب الشرفة الزجاجي بعصية وهي ما زالت تصرخ فيه بعنف ولم يلتفت لها.. لكنها تقهقرت خطوتين خلفاً واعتلى عينيها الفزع عندما رأت سييد ينبج صارخاً كأنه يعطيها إنذاراً بأنه بصدد الهجوم عليها إن لم تكف عن الصراخ.. استدارت سريعاً في غيظ، وقامت بغلاق باب الشرفة الزجاجي، وضغطت على القفل بغيظ شديد.

أخذت سدرا معطفها من على المقعد، ثم خرجت تهبط الدرج باندفاع كالسهم متجهةً نحو منزل سليم تخطو بخطوات غاضبة.. وصلت في أقل من دقيقة، وطرقت الباب بعصية، فتحت نازلي بوجه متجهم فأزاحتها من طريقها، وظلت تنظر في كل أرجاء المنزل؛ بحثاً عن غرفة سليم، وبينما تصرخ نازلي في غضب قائلة:

- إنتي فاكرة نفسك داخلة فين؟ تعالي هنا!

قبل أن تكمل التفتت سدرا لها بحدة ممسكةً ذراعها بنظرة يتطاير منها الشرر وهي تُخرج الكلام:

- كلمة زيادة هتباتي إنتي وجوزك في الشارع!

ثم أكملت بعينين جاحظتين:

- متخلينيش أحطك في دماغي، إنتي ماتعرفينيش!

صمتت نازلي ذعراً من سدرأ حين رأته عينيها تحملان الوعيد..

بعد لحظات من البحث وجدت سدرأ الغرفة، فدخلتها سريعاً متجهة نحو الشرفة في عصبية، ثم قامت برفع زر الغلق، فدخل سييد يترنح ذيله يميناً ويساراً، وتفاجأ سليم عندما وجدها أمامه.. جلس أمامها على فراشه في هدوء، فراحت تسير أمامه ذهاباً وإياباً في حيرة، ثم توقفت فجأة تبحث بنظرها عن هاتفه، فوجدته على الكومودينو بجانب الفراش.. أخذته سريعاً ثم أعطته إياه بعدما تأكدت أن باب الغرفة لا يزال مفتوحاً، وأن نازلي تتلصص عليهما من بعيد ليس إلا، ثم أشارت بإصبعها على الرسالة بانفعال.

ظلّ شارداً للحظات، ثم بدأ يكتب ودموعه متجمعة في عينيه:

- مش سامع يا سدرأ مش سامع.. مش قادر أردّ أنا إنسان عاجز، عاجز على أي رد فعل.

ثم ألتفت لها يمعن النظر لوجهها بعينين تملأهما الدموع، ثم أكمل الكتابة:

- عاجز فوق ما تتصورني، وأقرب الناس ليا مش عايزين يشوفوني غير محبوس.

بعد أن قرأت ما كتبه أخذت تتساقط الدموع من عينيها.. فسحب نفسه ببطء ثم كتب:

- أنا محتاج أكون لوحدي يا سدرأ أرجوكي.

ثم تركها وخرج إلى الشرفة لا مبالياً.. ظلت معلقة نظرها به حتى قفز سييد على الفراش، ثم مدد جسده عليه في اطمئنان، ونظر لها نظرة حزينة بطرف عينه، فأخذت تمسح على جسده بركة، وبعد عدة دقائق من السكون دخل سليم، ثم أخذ هاتفه ليكتب:

- فاكرة إني ضعيف يا سدرأ؟ أنا مش ضعيف، أنا ردّ فعل للعالم اللي مش قادر يندمج معايا.. صنعت عالم لنفسي، عالم خالي من الصراعات.. بلاقي السعادة في أبسط الأمور يمكن لو كنت قادر أسمع وأتكلم كان زمني دلوقتي إنسان مؤذي!

فتبدلت سريعاً ملامح الحزن التي تعتلني وجهها، وردت بمزاح:

- نازلي دي ملهاش تعريف ولا لازمة أصلاً.. مش عارفة عامل لها اعتبار ليه أصلاً؟

فردّ سليم كتابةً:

- ماينفعش يا سدر ا ماينفعش، كان ينفع لو أنا مش هنا لوحدى.

- ما هو ماينفعش فعلاً، بس أنا هحاول؛ لأنك مش هتبقى لوحدك تانى أبداً، أنا هبقى صوتك يا سليم..
إحنا بقينا روح واحدة، وغصب عني هفضل واقفة قدام أي حاجة أو أي حد يحاول يؤذيك.

بعد عدة أشهر بدأت الأوضاع تسير نحو الأفضل.. عادت سدر ا لفتح الجاليري الذي تملكه، وعاد كريم لإدارة الاستوديو بانتظام من جديد.. ظل الحب بين سدر ا وسليم يزداد دقيقة تلو الأخرى، تعلمت سدر ا لغة الإشارة، وبات سليم يقضي أوقاتاً طويلة مع كريم.. بدأ يتعرف على العالم الحقيقي بروح جديدة..

تعلم رقص التانجو، وعاد للرسم، تنقل سدر ا له نغمات الموسيقى عن طريق طرُق أصابعها برقة على طرف كتفه أثناء رقصهما معاً، واعتاد كريم تصوير كل رقصة لهما.. أغلب مقاطع الرقص محملة على هاتف سليم، ولكن الصور جميعها معلقة بغرفة سدر ا!

بدأ سليم وسدر ا حياة جديدة، وكانا ينتظران من الحياة أن تتركهما وشأنهما أخيراً بعد كل ما عاشاه في حياتهما ما أسى.

مطار القاهرة - الرابعة فجرًا

وقف أيمن أمام صالة الاستقبال يشعل سيجارة بعينين خاملتين في انتظار صديقه أحمد، وبعد عدة دقائق ظهر أحمد أمامه متوجهًا إليه بخطى واثقة وابتسامة عريضة، رمى أيمن سيجارته وركض ناحيته في حماس شديد.. تعانق الصديقان بحفاوة، ثم توجهوا نحو السيارة، وكان السائق في انتظارهما.. أثناء توجههما إلى البيت ظل أحمد يجول ببصره عبر نافذة السيارة، ثم نقل بصره ناحية أيمن قائلاً:

- طمّني.. أخبار سدر ا إيه؟

انتفض أيمن في انزعاج!

فأردف أحمد: إيه ما لك اتخضيت كدا ليه؟؟

أجابه أيمن بنبرة حادة ممتزجة بتوتر:

- أحمد! كريم صاحبني ابن عمها، وأنا قلت لك إنه صاحبي، وقايلك قد إيه هو بيخاف عليها، وهو عرف إن أنا وانت أصحاب، وكريم مش سهل خالص زي ما انت فاهم.. كريم هددني آخر مرة ولو عرف إنك بتحاول تكلم سدرا تاني مش هيحصل كويس.. إحنا مش عايزين شوشرة ومشاكل.

انفجرت من أحمد ضحكة ساخرة، وأشاح بوجهه عن صديقه بكبر، وهو يشعل السيجار في هدوء قائلاً بنبرة استهزاء:

- كريم إيه دا اللي إنت ضيعت دقيقة من وقتك ووقتي علشان تكلمني عنه؟! ماتشغلش بالك بيه.

ثم عاد ينفث دخان سيجاره في هدوء.

في صباح اليوم التالي كانت سدرا في غرفة الرسم داخل معرضها بالزمالك أمام لوحة ضخمة تقوم بوضع اللمسات الأخيرة عليها.. ثم سحبت هاتفها لتطلب كريم، ردّ عليها فوراً لتبادره بقولها:

- أنا عايزة أطلب منك طلب، سليم عيد ميلاده كمان يومين عايزاك تقدم الـ tango night بدل يوم الحد عليها الجمعة.. ومحتاجة فوتوجرافر كويس.. وحاول تقنع سليم إنه يلبس بدلة.

- أنا الفوتوجرافر ماحدث هيصور غيري!

- اعمل بس زي ما بقولك!

- حاضر من عينيا، يلا اقفلي بقا عشان ألحق أخلص.

بعد انتهاء المكالمة رنّ هاتف سدرا باستقبال رسالة على الواتساب من هاتف كريم لصورة تجمعه مع سليم التقطها للتو.. فاعتلت عينيها ابتسامة، ثم قامت بإعادة إرسالها لسليم على الواتساب، وكتبت أسفلها: «جميلة أوي.. شكراً».

وضعت الهاتف جانبها، ثم واصلت الرسم، وهي تدندن مع أغنية فرانك سيناترا بسعادة بالغة:

«Flyyyyy meee to the moon...let me playyy among the staaars».

قاطعها صوت لطالما كرهته بشدة من كل قلبها: إزيك يا سدرا؟

وجمت للحظات، واضطرب قلبها.. شعرت بقبضة تكاد تسحقه في صدرها، وقد تبدلت ملامح وجهها حين رأت أحمد.. رمقته بمقت شديد، وكاد الشر الذي يخرج من مقلتيها يحرقه! ثم قالت بغضب شديد: إنت إيه اللي جابك هنا؟ ومين اللي سمح لك تدخل؟؟

ابتسم ابتسامة باردة وهو يجول بنظرة باحثاً عن مقعد قريب، ثم قال بنبرة مستفزة:

- إنتي مش هتقولي لي اتفضل يا أحمد يا حبيبي؟

قبل أن يكمل اندفعت نحوه بعصبية ظاهرة، وقامت بدفعه بكل قوتها نحو الجدار، ففزع أحمد من ردة فعلها التي لم يكن يتوقعها، حتى سمع العمال الضجيج الذي أحدثته بحركتها الغاضبة تلك، فركضوا إلى مكتبها.. أمسكه أحدهم من ذراعيه، ثم قاموا مجتمعين بدفعه خارج المكان! بينما أخذ يصيح، وهو يحاول إفلات ذراعيه من بين رجال الأمن والعمال:

- إنتي فاكراني هسيبك.. أنا مش هسيبك في حالك!

جمعت سدرًا أغراضها، وتوجّهت إلى خارج المعرض نحو سيارتها بخطوات عصبية.. فتحت باب السيارة بطرف أصابعها المرتجفة، ثم جلست داخلها بضع ثوانٍ ومسحت وجهها بيدها.. رنّ جرس هاتفها، فانتفضت ذعرًا، ثم تنهدت باسترخاء عندما وجدت اسم كريم على شاشة الهاتف، فردّت بنبرة تحمل بعض الارتباك: أيوا يا كريم..

- ما لك يا سدر! إنتي كويسة؟

فابتلعت ريقها وأجابته بصوت مختنق:

- أنا كويسة.

فردّ كريم بنبرة تملؤها الشكوك:

- مش مصدقك.. صوتك بيقول غير كده.. إنتي فين؟

فأجابته بعصبية:

- أنا خرجت يا كريم خرجت. ثم أردفت بصوت هادئ:

- قول لي عايز إيه؟

سكت لبرهة ثم قال:

- مفيش بس كنت هقولك إني هروح سليم، وبعدين نتقابل عشان عايز أجيب له هدية عيد ميلاده..

- ماشي يا كريم قابلني كمان ساعة.

* * *

(٦)

ليلة حفل ميلاد سليم..

يوم الجمعة - الساعة ١٠:٠٠ مساءً

مكان هادئ وأضواؤه خافتة، أعلى كل طاولة مصباح صغير تضاء بداخله شمعة تفوح منها رائحة الفانيلا لتضفي جوًّا رومانسيًّا، بينما تلامس المركب من الأسفل موجات حانية خفيفة متناغمة مع إيقاع موسيقى التانجو الذي يكسر همهمات وقهقهات بصوت خافت...

بعد قليل وصلت سدرا ومعها سليم، وكان كريم في انتظارهما، وعندما لمح سليم من بعيد سار نحوهما قائلاً بالإشارة: اتأخرتم ليه؟

بادله سليم المصافحة بتحياتهم الخاصة بجذب كل منهما ذراع الآخر، حتى تلامس الأكتاف بحركة خاطفة، فاصطحبهما إلى الطاولة الأمامية التي قام بحجزها خصيصًا لهما.. جلست سدرا وأمامها سليم تتراقص أضواء الشموع، فتعكس وميضاً ذهبياً على ملامحهم، وتنساب نسائم هواء طفيفة على وجوههم فتبهج روحهم، أشار سليم لسدرا وهو تتفجر منه ابتسامة:

- أنا مش سامع حاجة.

- مش مهم أنا عايزاك تحس بس.

سألها مشيراً:

- هرقص ازاي؟

- زي ما بنرقص على طول!

ابتسمت سدرا، ثم مدّت نظرها تبحث عن كريم حتى وجدته.. رفعت يدها بإشارة ليأتي، فجاء يتصبب عرقاً ويتكى بقبضته على المسند الخلفي لمقعدها، واليد الأخرى أمامها على الطاولة، ثم همست بأذنه، فهزّ رأسه سريعاً بالإيجاب، ثم غمز لسليم ورحل!

في تلك اللحظة جاءت أمينة بابتسامة عريضة ونبرة مليئة بالحماسة، فتعاجأت سدرا، وضمتّ ذراعي أمينة بيدها، ثم سريعاً ما مدت يدها لسليم لتصافحه بنفس الحماسة، وبابتسامة بشوشة قائلة:
إزيك؟

فبادلها المصافحة، وهزَّ رأسه بابتسامة مهذبة، التفتت لسدرا بنفس الابتسامة قائلة بنبرة صوتها الرقيق: أنا هاروح لكريم.

أخذ سليم يتأمل الراقصين، وتعتلي عينيه ابتسامة هادئة يتذكر فيها كيف أنه لم يحظَ بيوم مماثل، وكيف كان يتمنى دوماً أن يحيا يوماً خاصاً مع أصدقاء يحبونه ويطمئن لهم، ولو لمرة واحدة، لكنه لم يحدث أبداً، ثم أعاد النظر إلى سدرا يتأمل وجهها ويشعر بروحها تهيم بداخله.. كان قبلها يمضي في دروب الحياة تائهاً حتى وجدها في النهاية.

في نفس اللحظة دخل إبراهيم ببذلة كلاسيكية ورابطة عنق متقنة، حاملاً في يده هدية، فلمحه كريم وركض نحوه سريعاً، ثم انتزعها من يديه بخفة ليخفيها قبل أن يلحظها سليم قائلاً:

- مفاجأة يا هياما سليم ميعرفش!

فردّ بضجر:

- يعني هو ميعرفش إن النهارده عيد ميلاده؟!

ثم استعاد ابتسامته الأنيقة على وجهه وهو متجه نحو طاولتهما بوقار..

بعد لحظات فجأة تناثرت فوق سدرا وسليم رقائق زينة وقصاصات ورق لامع، فنظر سليم لسدرا في دهشة، فنهضت عن مقعدها بابتسامة عريضة، وأتى كريم من بعيد بخطوة يملؤها الحماس حاملاً بكفه تورته، وحين وضعها على الطاولة تقاجأ سليم مرة أخرى، حين رأى عليها صورة له تجمعهم هو وسدرا، ثم التفَّ حوله الجميع وهم يغنون له أغنية عيد ميلاده بلغة الإشارة، وترمقه سدرا بعينين مملوءتين عشقاً ويبادلها هو نفس النظرة.. تحرك كريم سريعاً، ثم قام باستدائهما على أرضية الرقص استعداداً للرقصة القادمة، وقبل أن تبدأ الموسيقى التقط كريم سريعاً صورة تجمعهم سوياً.

بدأت نغمات الموسيقى وسدرا تقف أمامه، ثم نظرت في عينيه نظرة ثقة، بينما كان يشعر ببعض القلق، ومع بداية النغمة رفعت يدها وهي تشير له بعدات الإيقاع، بدأت سدرا تقود خطواته المتعثرة في البداية، وانغرس في نبضات قلبه صوت الموسيقى دون سماعها.. لامست مشاعره من خلال جسد سدرا كالمعتاد، فتلاشى الارتباك وحلّ التناغم والانسجام بعدها لفترة طويلة.. بعد انتهاء الرقصة أخذ سليم سدرا في عناق طويل.

عادت سدرا إلى الطاولة صاحبةً سليم من يده، بينما وقف كريم في ركن بجوار الدي جي متكناً بكتفه على الحائط يقوم بإرسال صورة السيلفي التي تجمعهم سوياً لهاتف سليم على الواتساب.

بعد أن وضعها صورة على البروفايل، ثم قام بإرسالها لسدرا، وأثناء تقصُّصه هاتفه انتفض سريعاً، وكأنه تذكر شيئاً، ثم أخرج حقيبة ضخمة أسفل جهاز الدي جي، بداخلها هدايا سليم، فحملها واتجه

إلى طاولتهما، ثم ربّت على كتف سليم، فالتفت له بانتباه.. أشار له إلى تلك الحقيبة، ثم بدأ يتحدث له بلغة بالإشارة:

- كل.. حد.. فينا.. جايب لك هدية..

ثم أشار إلى نفسه قائلاً:

- أنا.. جايب لك.. أكبر.. واحدة!

ضحك سليم، وأخرج كريم أول هدية، صندوق مستطيل بداخله قطعة معدنية ضخمة على شكل دراجة نارية هارلي ديفيدسون، أخذ سليم يتفحصها بين يديه بانبهار شديد، ثم ربّت على ظهر كريم بنظرة تقدير وشكر، واعتلت وجهه ابتسامة عريضة، خاصة بعد أن قام بفتح جميع الهدايا التي تلقاها.. إلا أنه وقف أمام هدية سدرًا كثيرًا وهي عبارة عن بورتريه زيتي ضخم يحتل مساحة ضخمة مُقسماً لمربعات بواسطة خط أبيض رفيع كل مربع به رسمة لسليم بمعطفه الأسود لحظات وقوفه داخل شرفته ليلاً يتأمل السماء.. ولحظات مكوثه بها تحت المطر بعد منتصف الليل.. وعلبة أخرى داخلها سلسلة فضية تحمل قلادة على شكل مفتاح صغير مكتوب عليه اسم سدرًا بالخط الفرنسي لقفل بسوار فضي رفيع على شكل قلب مكتوب عليه اسم سليم بالخط الفرنسي أيضًا.. سحبت سدرًا السلسلة من العلبة الصغيرة، وطلبت من سليم أن يرتديها، ثم أخذت السوار ووضعتة حول معصمها، ثم قامت بقله عن طريق مفتاحه المعلق بسلسلة سليم..

ظلوا بالمركب حتى ساعات متأخرة من الليل، ونهض إبراهيم بعدما ألقى التحية على كلّ منهم ثم رحل.. وانتهى الحفل، وبدأ المكان يفرغ من الناس، فسبقهما كريم يحمل معه هدايا سليم؛ ليضعها داخل سيارته، ومعه أمينة، وبعد أن لممت سدرًا أغراضهما من على الطاولة توجهت هي وسليم إلى مخرج المركب، وأثناء سيرهما داخل الممر المظلم الذي يربط المرسى بجراج السيارات ظهر أحمد أمام سدرًا فجأة!

وجمت سدرًا فور رؤيته، ولاحظ سليم الارتباك على ملامحها، فنظر له باستغراب، مدّ أحمد يده ليصافحه، ثم أعاد النظر لسدرًا قائلاً بابتسامته الباردة:

- إيه يا سدرًا؟ مش تقولي له أنا مين؟؟

ثم أكمل بضحكة استهجان:

- آه نسيت إنه أطرش وماييسمعش.

قبل أن يكمل صرخت بوجهه ودفعته لبيتعد، فسرعان ما استشاط سليم غضبًا، وباغته بضربة في وجهه أسقطته أرضًا حينما استشعر أنه شخص غير مرغوب فيه.. ظلت سدرًا تدفع سليم نحو

المخرج المؤدي إلى الشارع وهي تصرخ، نهض أحمد ممسكاً بعصى حديدية من خلفهما، وقبل أن يضرب سليم على رأسه قبض كريم عليها بيده من الخلف، ثم وجه له ضربات عاتية حتى أنهك قواه، ثم قبض بكفه على عنقه قائلاً وهو يُخرج الكلام من بين أسنانه ويترنح أحمد بين يديه:

- بعث لك رسالة مع صاحبك ابقى أسأله عنها!!

ثم ألقى به مغشياً عليه على الأرض تحت قدميه، فسحبته سdra من يده سريعاً بعد أن قامت أيضاً بدفع سليم للخلف؛ لإبعاده خوفاً عليه! ثم تركوا المكان فوراً قبل أن يراهم أحد.

استقل كل من سليم وسdra السيارة، وكريم خلفهما بسيارته، وبدا على وجه سليم الغضب.

ثم أشار لها وما زالت علامات الغضب تعطي ملامحه: مين دا يا سdra؟

فأشارت له بعصبية وهي تبكي بانفعال:

- دا ولا حاجة.

خيم الصمت بينهما حتى بلغا المنزل، ثم وقف سليم أسفل منزل سdra لتهدئ من السيارة وهو يتعمد عدم النظر لها.. فتحت الباب، ثم توجهت نحو مدخل العمارة بوجه شاحب، وصعدت إلى منزلها..

ظل في انتظار صعودها إلى المنزل ليرى نور غرفة الشرفة، فيطمئن لوصولها، انطلق سليم بسيارته ولم يكن يرغب بالصعود إلى منزله، فظل يجول في الشوارع بالسيارة دون هدف في تلك الليلة.. وظلت سdra في انتظاره خلف النافذة بعد أن أرسلت له عدة رسائل لكن دون جدوى.. بعد عدة دقائق زارها كريم، فقطع شرودها.. التفتت له في أسى قائلة:

- سليم مابعتلكش حاجة؟

رد بنبرة حائرة:

- لا والله يا سdra للأسف..

- أنا مش فاهمة ليه كل دا؟ ليه كل القسوة دي؟

ثم أكملت:

- دا حتى محاولش يعرف بجد علشان يفهم أو يقتنع؟

قاطعها كريم بنبرة هادئة:

- افهمي يا سدرأ، سليم طول الوقت حاسس إنه مهزوم.. خصوصًا معاك إنتي.. إنتي بقيتي نقطة ضعف جديدة في حياته مش دايماً مصدر أمان وقوة.. هو النهارده حس قدامك إنه عاجز.. ما قدرش يحميكي، ويُقف قدام أحمد من أول ثانية، ما قدرش حتى يسمعكم ويعرف كنتم بتقولوا إيه؟ اللي حصل ده أثر فيه طبعًا.. خصوصًا لما حس من ملامح وشك إن الشخص دا خطر عليك.. وبناءً على الموقف دا قاس حياتكم الجاية واتصدم.. سليم أول مرة شوفته كان مراقب تعبيرات وشك وانت بتتكلمي معايا علشان يعرف إذا كنت عدو ولا حبيب، سيبك من اللي بتحكيه عني.. هو حريص إنه يشوف ويحس دا بنفسه؛ لأنه لا يملك سوى الإحساس! سليم بببذل مجهود جديد عليه يا سدرأ.. علاقتكم كانت خاصة جدًا من البداية، تواصلكم مع بعض كان مختلف، كأن علاقتكم دي اتخلقت ليكوا إنتو الاتنين من غير أي عوائق رغم وجودها على أرض الواقع.. بس إنتوا مشوفتهاش أساسًا، ودا دليل على حبكم القوي جدًا لبعض في فترة قليلة جدًا.

استسلمت سدرأ لحدثه بنبرة هادئة:

- يعني أعمل إيه؟

- سليم لازم يعرف كل حاجة عنك.. الأشخاص والعمال اللي عندك في المعرض.. الأشخاص اللي بتكرههم واللي بتحبهم.

ثم أكمل متتهدًا:

- سيبه شوية يا سدرأ ياخذ وقته وهتلاقيه بيكلمك، أما أحمد، حسابه نقل أوي عندي.

لم يعد سليم في تلك الليلة، ولم يردّ على رسائل سدرأ التي ظلت تنتظرها.. باتت خلف نافذتها حتى عاد في السابعة صباحًا، حاولت الاتصال به مراراً وتكراراً، لكنه قام بغلق هاتفه.. حتى نامت ورأت نفسها في الحلم.. كانت تسير وحيدة وسط الثلوج، ولم تكن جدّتها تبتسم هذه المرة.

مرّت خمسة أيام وما زال سليم يحيا في غضبه، ذهبت سدرأ إلى الجاليري، وجلست على مكتبها شاردةً بنظرها نحو السماء عبر النافذة، تحتسي القهوة وتتصارع الأفكار داخل رأسها، حتى رنّ جرس الهاتف، انتفضت سريعاً، فوجدت رقم أحمد على شاشة الهاتف، فتبدلت ملامحها، وسريعا أخذت الهاتف وردّت:

- إيه الشر اللي انتوا فيه ده؟ طب افرضي إني كنت جاي بسلم عليك عادي.

فقاطعته بنبرة حادة:

- إنت عايز إيه يا أحمد!

- عايز أشوفك.. وحشتيني!

سكتت للحظات وكأنها تفكر في شيء، ثم قالت وهي تحاول أن تسيطر على غضبها:

- ماشي يا أحمد!

عادت سدرًا إلى المنزل، ويبدو عليها رغبة كاملة في الانتقام، أخرجت من غرفة المخزن الساند باج، ووضعتها داخل غرفتها، وفي تلك الأثناء رنَّ جرس المنزل، فتوقفت لحظات، ثم توجهت نحوه فوجدت أمامها أمينة:

- أمينة تعالي حبيبي ادخلي.

ثم توجهت مرة أخرى لغرفتها.

- ما لك يا سدرًا؟

- لا مفيش كنت بطلع الساند باج.

فدخلت وراءها الغرفة، وارتمت بجسدها على الفراش، ثم أردفت بصوتها الرفيع الطفولي:

- إنتي هترجعي تاني للبوكسينج؟

وأثناء انهماك سدرًا بتنظيف الساند الباج قالت:

- آه عايزة أفرِّغ الطاقة، الملاكمة عموماً ليها منافع كتيرة؛ بتقوي عضلة القلب وبتخليكي تتخلصي من الضغط النفسي، بتفرغي عواطفك وأفكارك السلبية وبتخلصك من القلق والاكتئاب، دا غير إنها بتزوّد تقّتك بنفسك..

ثم نظرت سدرًا لها بابتسامة خفيفة، وهي ما زالت منغمسة في تنظيف الساند باج، ورأسها متراحم بالأفكار! فسكتت أمينة لبرهة ثم قالت:

- ما لك يا سدرًا؟؟

فردت سدرًا بنبرة تحمل بعض الحدة:

- سألتيني السؤال دا مرتين!

تبدلت ملامح أمينة وقالت لها بنبرة حزن:

- سليم مش كدا؟؟ معلى يا سدر ا خليه ياخذ وقته شوية، وبعدين يخرج من الحزن بتاعه.

افتعلت سدر ا ضحكة وهي تحاول أن تخفي الألم بداخلها، وتنفض الغبار من على قفازات الملاكمة..
فردت أمينة:

- مش إنتي دايم اللى بتقولي لي كدا لما كريم بيسيني ويختفي!

فقال سدر ا وهي تغلق الصندوق الذي أخرجت منه القفازات:

- عشان كدا عايزاكي إنتي بالذات تسكتي.. إنتي وسي كريم بتاعك ده.

ابتسمت أمينة رغم عنها عندما دخل عليهما كريم في تلك الأثناء، نهضت أمينة حينما رآته.. استرقت
سدر ا النظر إليه كأنها تنتظر خبراً ما.. وهنا سكت كريم لبرهة وهو ينظر لها، ثم قال ويعتلي وجهه
الحيرة:

- سدر ا سليم حزين أوي، وأنا حاولت أطلع أكلمه، لكن نازلي كل شوية تقول لي مش موجود، وتقف
الباب في وشي.

قاطعت سدر ا بحدة:

- خلاص يا كريم، مش عايزة أسمع حاجة، وأنا كويسة متقلقتش.

تهدد كريم رغبة في التخفيف من حدة الموقف فقال:

- أنا مش قلقان يا سدر ا، أنا عارف إنك هتكوني كويسة، أنا نازل أنا وأمينة.. انتي عارفة إن أنا
مسافر النهارده، بس أمينة هترجع تبات هنا.

فنظرت سدر ا له بحدة قائلة:

- مسافر فين!!

- يا سدر ا متخافيش أنا مسافر عشان عندنا إيفينت في السخنة، لو مش مصدقاني ادخلي على الفيس
بوك، وشوفي إحنا عاملين إيفينت النهارده وبكره!

ثم حاول كريم طمأنتها بقوله:

- والله يا سدرأ أنا خلاص بعيد عن أي حاجة تقلقك.. أنا خلاص ولا ليا دعوة بأى حاجة، والقرار دا عشانك وعشان أمينة.. إحنا خلاص قررنا نتجوز!

تقاجأت سدرأ بالخبر الذي انتظرته طويلاً، وعانقت أمينة، وباركت لكريم الذي سكت بعدما أعلن السر الذي خبأه هو وأمينة على سدرأ منذ قررا ذلك..

ثم استوقفه مشهد الساند باج، فأردف بنظرة استغراب:

- سدرأ هو انت هترجعي تلعي ملاكمة تاني؟

- آه!

جاء ردها بحدة، ففهم أنها لا ترغب في الكلام عن الموضوع فقال:

- طيب إحنا نازلين.. عايزة حاجة؟

- لا خلي بالك بس انت من نفسك ومن أمينة!

رحلا سويًا فجلست سدرأ على أريكة أمام الفراش تعتصر بكفها وجهها.. تشعر وكأن بركاناً ينمو بداخلها يدفعها نحو الانتقام دون تردد.. وقفت أمام الساند باج مقطبة حاجبها، قامت برفع شعرها وارتدت القفازات، وكأنها ترى أحمد أمامها، وأخذت تضرب ضربات صلبة وسريعة! كأنها داخل معركة لا يمكن الخروج منها دون انتصار!

في صباح اليوم التالي أخذ سليم كلبه سييد للتزهر، وأثناء سيره قام بفتح هاتفه.. وجد عدة رسائل من كريم، ففتح آخر رسالة له ثم قام بقراءتها:

«سليم أنا عارف إنك متضايق من سدرأ، وحاولت أطلع لك كدا مرة بس عمك دايمًا بتقول لي إنك مش موجود وتقل الباب في وشي.. أحمد اللي قابلته يوم عيد ميلادك ده طليق سدرأ.. سدرأ كانت تعبانة وبتعالج بره، ومكانتش عايزة تقول لحد إنها تعبانة، وإنها كانت متجوزة الحيوان دا.. طلع بني آدم ندل، وبعد ما خفت هربت منه، ورجعت مصر، ورفعت عليه قضية وكسبتها.. دا كل الموضوع أرجوك متقشاش عليها أكثر من كدا، ولا تقسى على نفسك، سدرأ محتاجة لك أكثر ما انت محتاج لها، وبتحبك، سدرأ مش بتشفق عليك، سدرأ بتحبك بجد».

وما إن قرأ سليم رسالته حتى ردَّ عليه بمزيج من الحزن والأسى:

- أنا آسف يا كريم.. أنا اللي مش هقدر أكمل مع سدرأ، سدرأ محتاجة إنسان قوي.. وأنا إنسان ضعيف جدًا.

* * *

في الساعة مساء أخذت سدرًا مفتاح السيارة، وانطلقت إلى منزل أحمد في التجمع الخامس.. نزلت من السيارة بعد أن وصلت أمام العقار، وكان شعور الارتباك يداهما.. دلفت إلى المبنى، ووقفت أمام الباب، وقبل أن تضغط الجرس فتح أحمد بابتسامة مستنقزة قائلاً:

- أهلاً أهلاً.. اتفضلي يا سدرًا.

دخلت وهي ترمقه بنظرات مقبئة، وبعد لحظات قالت بنبرة باردة:

- إيه الأفلام دي كلها؟

- ولا أفلام ولا حاجة.. تعرفي.. أنا معجب بشجاعتك إنك جيتي لوحديك!

فأجابته باستخفاف:

- إيه فاكروني هخاف؟ أنا أقلق وأخاف من حد يستحق.

انفجرت منه ضحكة عالية، ثم قال بسخرية:

- صوتك طلع واتعلمتي الكلام!

- مشكلتك إنك عمرك ما شوفت وشي التاني، صدقني إنت اللي هتخاف، يا أحمد أنا أقدر أخليك تكره نفسك واليوم اللي انت عرفتي فيه.. ده هو آخر إنذار هوجهولك.

ثم نظرت في عينيه مباشرة، وقالت بنبرة حادة:

- لازم تخاف، أنا عايزاك تخاف أكثر من اللي جاي.

- إيه إن شاء الله؟

اقتربت منه وانحنت على أذنه قائلةً بصوت خافت ومريب:

يعني بيقلوا إن انت وأيمن ما شاء الله نص شغلكم شمال.. ده غير اللي بتتاجروا فيه بقى. فاهمني طبعًا.

قالتها ثم أغضت عينيها بابتسامة جافة عندما رأت ملامح وجهه يعتليها الارتباك.. ثم صممت للحظات، وأردفت بابتسامة باردة:

- أقدر ألبسك مليون قضية أو على الأقل عندي اللي يعملك شوشرة ويلفك حوالين نفسك إنت واللي معاك واللي مشغلينكم.

ظلَّ أحمد يرمقها بمقت شديد، ولم تكفَّ سdra عن استفزازه عمدًا.. في النهاية لم يتمالك نفسه، فهجم عليها ودفعها بيده دفعة قوية أسقطتها على الأرض.. ثم أخذ يضغط بقدمه بقوة على معصمها حتى شعرت بأنه قد كسره، فصاحت متألمة، ونهضت متكوّمة حول نفسها بسرعة، وقبل أن يلتفت لمكانها عاجلته بضربة بقدمها على ركبته، ثم نهضت جرياً قبل أن تتطور الأمور ولا تستطيع السيطرة، فركض خلفها، وفور أن خرجت ظلت تدفع باب المنزل بقوة نحوها على ذراعه، ثم هرعت نحو السيارة، وغادرت المكان سريعاً.

لم تعرف أين تتجه وهي تقود السيارة بيدها اليمنى، تشعر بألم شديد في اليد اليسرى، أوقفت السيارة بعد مسافة قليلة، وقامت بالاتصال بإبراهيم، وحكت له بإيجاز عما حدث، فطلب منها أن تذهب إلى مستشفى المعادي على الفور، وسيلحق بها هناك.

وصلت سdra إلى المستشفى، وفي غضون دقائق لحق بها إبراهيم، وبعد أن أجرت الأشعة اتضح أن يدها اليسرى بها شرخ بسيط لم يمتدَّ لمرحلة الكسر.. وضعت الجبيرة، ثم غادرت مع إبراهيم إلى السيارة، وعند وصولهما نزلت من السيارة تعطي ملامح وجهها الغضب.. حتى تحدث إبراهيم بعد صمت طويل تشوب نبرته الحدة:

- أنا هجيب لك عربيتك، متتحركيش من البيت، وماتحكيش لكريم اللي حصل عشان هو راجع في الطريق بدل ما يقلق وهو سايق في طريق سفر لحد مانشوف هنعمل إيه!

أومأت برأسها بالإيجاب.. وأثناء نزولها من السيارة متوجهة نحو مدخل العقار بخطوات ثقيلة لمحها سليم من خلف زجاج شرفته، حتى اختفت عن نظره، وغادر إبراهيم.. انتزع الهاتف من جيبه ليرسل لكريم رسالة يسأله عما حدث، ثم توقف للحظات.. ففكر في الذهاب إلى سdra مباشرة.. وفي تلك الأثناء وجد أحمد ينزل من سيارته مسرعاً نحو عمارة سdra، فتوجه سليم سريعاً نحو الباب دون تفكير، ونزل على الدرج بخطوات سريعة كالسهم، بعد أن أوصل الباب وراءه، فلم يتمكن سبيد من الخروج خلفه، وظل ينجح حتى الصراخ!

وصل إلى شقتها ليجد الباب مفتوحاً وأحمد مشتبك معها يدفعها بيده، وهو يصيح فيها وتسيل دماء من شفتها السفلى.. انقض عليه سليم وأمسك بعنقه، ثم لوى ذراعه للخلف، وظل يضغط عليه بقوة، لكن تمكن أحمد من الإفلات من بين يدي سليم، فركض نحو الباب، وخرج سريعاً وعيناه يتطاير منهما الشر، وبات واضحا أنه ينتوي شراً أكبر.

حاول سليم اللحاق به، ولكن ظلت سdra تسحبه وهي تصرخ حتى استطاعت منعه.. ارتدى سليم على مقعد بجانبها، وجلست سdra على الأرض أمامه وهي تبكي في ألم.. أعاد سليم النظر إليها في

حنان، وقد رق قلبه لما حدث لها من طليقتها، وقد رأى جرمه بعينه أمامه.. ثم أخرج هاتفه وقام بإرسال رسالة لكريم يسأله:

- إنت فين؟

وبعد مرور عدة ثوانٍ رد كريم:

- أنا كنت مسافر وخلص رجعت قدامي دقيقتين وداخل على البيت.. أجيلك؟

- أنا عند سدر..

- يا رب خير.. أنا داخل على الشارع أهو.

كان كريم يركن سيارته بينما تنتظر سدر لسليم في خوف، حتى رنَّ جرس الباب بعد مرور عدة دقائق.. خرجت سدر فوراً وفتحت الباب وهي تتوقع أنه كريم.. بعد أن فتحت الباب وجدت أحمد أمامها وفي يده سلاح هذه المرة، وإذا به يفاجئ سليم بضربات متتالية على رأسه بالطرف الأخير من السلاح، حتى سقط سليم مغشياً عليه.. ثم فرَّ أحمد هارباً في لحظات، نزل الدرج بسرعة فائقة حتى وجد كريم أمامه، فأطاح به بقوة نحو حائط السلم.

نزل كريم مسرعاً ورائه، ولكن ساقيه قد تجمدتا فزعاً عندما سمع صراخ سدر ونباح سيزر من خلف باب غرفته، فصعد سريعاً كالسهم بعينين جاحظتين وملامح وجهه اعتلاها الوجل.. وجد سليم ملقى على أعتاب المنزل غارقاً في دمائه، تذكر كريم صديقه أيمن السابق، الذي مات إثر مشاجرة لا شأن له فيها، وراح يهتف في فزع:

- لاا.. مش هيحصل تاني.

بينما كان بجانبه سدر جاثية على ركبتيها تعطي ملامح وجهها الذعر، وما زالت الدماء فوق شفثيها والدموع غزيرة وهي تصرخ باسم سليم، وتهز جسده بشدة، وترتجف كلما مدَّت يدها لتَهز جسده فلا يستجيب. تسحبها في ارتعاد، ثم تمدُّها تارة أخرى تلمسه بأناملها في توسُّل وترجوه أن يستيقظ.. تتاديه بنبرة متحشجة وقلب يئن وجعاً بين أضلاعها، تحاول مرة أخرى وتحاصر الشهقات المكتومة أنفاسها.. تحاوط الدموع جفون عينيها، وتختنق بداخلها الصرخات.

اقترب كريم من جسد سليم الملقى على الأرض، وانحنى عليه ببطء واجماً، وعيناه يحاصرهما الذعر؛ حتى لامست أذنه صدر سليم، فأيقن في تلك اللحظة أن آخر أنفاسه قد هربت، ومالت صرخات سدر المبنى والشارع كله.

وجلس كريم بجانب صديقه مرتيمًا على الحائط بجسده في حسرة وألم تنهمر الدموع من عينيه بأسى، انحنى سدرًا برأسها في حرص على صدر سليم، حتى استقرت عليه في هدوء بنظرات مضطربة، وراحت تمسح بكفها الملطخ بدمائه وجهها المبلل بالدموع، ثم سحبت ذراعه لتحوط به ظهرها تتكلم بجسدها عليه، وكأنها تحتمي فيه، تهمس أسمه وهي نائمة على صدره، وكأنها تؤدُّ لو أنه يستيقظ من سباته لتستعيد الأمان.

سكنت فجأة، ثم انتفضت حين سمعت نحيب كريم! ورفعت عينيها الحمرابين وهي تنظر له بابتسامة مريرة مصحوبة باستنكار قائلة:

- سليم ماماتش، بتعيط ليه؟

ثم اقتربت من وجهه وهي تحق بعينيها في غضب وتنتفض صارخةً وهي تهزّه بعنف:

- بتعيط ليه؟! بتعيط ليه؟! سليم ماماتش!!

ثم شدت معصمي كريم ترفع كفيه تصفع بهما وجهها بقوة في انهيار وهي تصرخ:

- دا كابوووس، بقول لك ماماتش.

سحب كريم يديه بأسى وهو يضم سدرًا إليه بألم ويجهش في البكاء...

رحل سليم تاركًا نهرًا من الوحشة والألم يتدفق بروحها التي أصبحت على قيد الموت ولم يبقَ للحياة أثر..

لم تتمكن الشرطة من القبض أو العثور على أحمد، حيث فر هاربًا في الليلة ذاتها.. كريم هو من قام بدفن سليم برفقة إبراهيم، ولم يحضر الدفنة سواهما، حيث دخلت سدرًا في حالة انهيار عصبي، ونُقلت إلى المستشفى على إثرها، ومعها أمينة لا تفارقها..

كانت ترى نفسها في أحلامها كل ليلة وهي تسير مرتديةً الفستان الأبيض وسط الثلوج، وكان سليم ينتظرها في كل مرة.

* * *

(٧)

بعد أسبوع جاء كريم، وبرفقته أمينة في صباح يوم كئيب لاصطحاب سدرًا إلى المنزل.. عند وصولهما أمام العقار حملت أمينة حقائب سدرًا ودلفت إلى العقار.. نزلت سدرًا بخطوات متقلبة خلفها ووجه منقبض يكسوه الوجع، ورفعت رأسها للجهة الأخرى نحو شرفة سليم تتأملها بعينين معبئتين بالأسى، ثم خفضت رأسها.. قبل أن تلتفت فجأة رأت سبيد أسفل منزله بفروة متسخة يجلس في وهن، وقد أصبح جسده ضئيلاً ينظر للمارة كأنه يبحث في وجوههم عن رفيقه..

هرعت نحوه دون أن تنتبه للطريق كأمّ وجدت ابنها الضائع، وضمّته إليها وسالت الدموع من عينيها بحرقة وهو يلتصق بها كأنه استعاد ضالته، ووجد صاحبه الذي رحل.. بينما كان يقف كريم جانبا ينظر لها، ويكتم أنيناً يعتصر قلبه.. إلى أن طرق مسامعها صوت قرآن آتياً من بيت سليم، فنهضت ببطء، وأعطت كريم حزام طوق سبيد المتهاك، ثم أشارت له في صمت أن يصحب سبيد إلى المنزل، فانتبه من شروده وهو يحبس دموعه قائلاً بنبرة مرتجفة ممزوجة بحسم؛ خشية من أن تتجدد بها الصدمة:

- لا يا سدرًا بلاش تطلعي أرجوكي!

تركته دون ردّ متجهة بنظرة ساهمة، ودون أن تأبه له إلى مدخل العمارة التي بها شقة سليم.. صعدت السلم ببطء وهي تتكى بكفها على الحائط في وجوم كلما اقتربت من المنزل.. يتعالى صوت القارئ، فيخفق قلبها ويئنّ وجعاً حتى بلغت الطابق الذي به شقة سليم.. تُقدّم خطوة وتؤخر أخرى بقدمين ثقيلتين، وجدت الباب موارباً، فوقفت على أعتابه، ودارت ببصرها بنظرات متألّمة تنهمر من عينيها الدموع حتى وقع نظرها على اثنين يتهامسان في زاوية المكان، ولم ترَ نازلي بين الجالسين ولا حتى زوجها..

دخلت خلصة وهي تسترق النظر لمن حولها بنظرات مرتعشة.. توجهت نحو غرفة سليم التي تقع آخر الممر.. كان الممر مظلماً بعض الشيء، فوقفت على أعتاب الغرفة تغمض عينيها، وتنساقط الدموع منها وهي تنتهد في أسى.. بعد لحظات قطع بكاءها صوت شخص يغلق باب الغرفة المجاورة التي تقع على الجانب الأيمن في الممر خلفها.. أرادت أن تخبئ؛ خوفاً من أن يراها أحد..

لم تتمكّن من الحركة وتعثرت قدميها بغتة ولم تشعر بهما.. تجمّدت مكانها، ثم استدارت فلم تجد أحداً بجوارها.. في تلك اللحظة شعرت بأن الزمن والكون توقفا للحظة، وأن سليم قريب جداً منها، فتجمّدت ملامحها حين شعرت بروحه تلتفّ حول جسدها، وتعانقها بدفء لتهدئ من روعها.. كأنها تحملها إلى جانب آخر من العالم.

أغمضت عينيها باستسلام، وكأنها ترى ضوءاً منبثقاً من روحه يتسلل إلى جسدها حتى أطرافه.. وتبدد كل ذلك سريعاً حينما سمعت ضوضاء في الخارج، فدلفت سريعاً إلى الغرفة، وأغلقت الباب

بحرص شديد، ثم وقفت خلف الباب؛ خوفاً من أن يأتي أحد إلى الغرفة.. بعد لحظات اختفت الأصوات داخل الممر، فخطت خطوة تتأمل جدران الغرفة التي تحمل الكثير من الأسرار، وتخفي الكثير من الذكريات.. توجهت إلى خزانة ملابسه، فتحتها ببطء، فانبعثت منها رائحة عطره على روحها.. سارت تتأملها وعلى أطراف جفونها تتساقط دموعه تلو الأخرى، اقتربت من ملابسه المعلقة ببطء، وأخذت تتحسسها وعيناها تفيضان بالدموع، وظلت تحتضنها وتقبلها وهي تجهش في البكاء بروح متألّمة ونحيب مكتوم.

انتفضت وتجمّدت ملامحها حين سمعت صوت خطوات تقترب من الغرفة، فقفزت سريعاً نحو الفراش لتختبئ بجانبه، وبعينين واجمتين سمعت نازلي، ويبدو أنها تتحدث إلى أحد بجانبها على حافة الغرفة قائلة:

- هي دي الأوضة تحب تحمّلها النهارده ولا نستنى لبكره؟

سمعت صوتاً غليظاً يقول:

- لا حضرتك دي كبيرة خليها بكرة على الساعة ١٢ الضهر.. هاجي بالعربية الكبيرة، إنتي عايزة فيها كام؟

أغلقت نازلي الباب، واختفى صوتها وهي تتفاوض مع ذلك الرجل على سعر أثاث الغرفة.. نهضت سداً سريعاً، وانتزعت معطف سليم الأسود من الخزانة، ومعه زجاجة عطره، ووضعتها في جيب المعطف، وأخذت تبحث عن هاتفه في جميع أركان الغرفة، لكنها لم تجده.. سحبت سريعاً قلاوته الفضية الذي كان يرتديها من فوق منضدة جانب الفراش، ثم توجهت سريعاً نحو باب الغرفة تفتحه بحرص، وتفقدت الممر بحرص شديد بنظرها، ثم خرجت سريعاً تختلس النظر لمن حولها من وراء غطاء الرأس المتصل بالمعطف.. لم يستوقفها إلا شعورها بأنه هنالك من يراقبها من زاوية ما في أرجاء المنزل، وكلما نظرت حولها وحاولت إمعان النظر تلاشى الأثر في لحظتها.. لكنها كانت متأكدة أنه هناك شخص ما يراقبها منذ دخلت.

عادت سداً إلى المنزل، فوجدت سبيد يفتّرش الأرض بجسده الضخم، بجانبه سيزر، وأمامه كريم يدفع الطعام نحوه بحنو، ويتحدث إليه برقة، محاولاً إقناعه كالأطفال، ولكن دون جدوى، وظل سبيد يزيح الطعام بطرف أنفه، ويكاد الحزن المرتسم في عينيه يمزق قلبه.

دخلت سداً غرفتها بخطوات واهنة ونظرات ساهمة معبأة بالأسى، وارتمت بجسدها على الفراش، ثم أخرجت قلاوتها التي أهداها إياها سليم.. قبضت عليها بيدها وهي تضمها نحو عنقها، وتتساقط الدموع من عينيها من جديد. انتهت كأنها تذكرت شيئاً، أخذت هاتفها وهي تسمح دموعها تكتب رسالة لكريم وهي تخرج من الغرفة:

- كريم.. محتاجالك بكره الساعة ١١:٠٠ الضهر، وأرجوك خلي أمينة تروح بيتها لما تصحى وانت كمان.. عايزة أكون لوحدي.

ثم وضعت شاشة الهاتف ببطء أمام عينيه، بينما هو جاثم على ركبتيه أمام سبيد، ففوجئ بالرسالة، واغرورقت عيناه بالدموع تأثراً حين تذكر أنها كانت تفعل نفس الشيء مع سليم في بداية علاقتهما.. نظر كريم للشاشة بعينين تملؤهما الدموع، ثم أعاد النظر إليها مرة أخرى..

وأماً لها بالإيجاب ثم أردف بصوت حزين:

- يا سدرا، عايز أسمع صوتك أنا شايفك بتتهاوي كل يوم قدامي!

فنظرت له بوجه شاحب، وأومأت برأسها إيجاباً، ثم ربتت على كتفه في صمت، وتركته، وعادت إلى غرفتها.. جلست على فراشها تفرك وجهها في أسي، وأخرجت قلادة سليم من جيب المعطف، ثم قامت بارتدائها حول عنقها، وظلت تعانقها بكفيها وهي تكي، ويعتصر قلبها الوجع، سكتت للحظات كأنها قد تذكرت شيئاً، ثم نظرت لهاقتها بملامح واجمة، ثم مدت يدها تأخذه ببطء وتسحبه من على المنضدة الموضوعة جانب الفراش بأطراف مرتعشة، ثم قامت بفتح الواتساب على رسائل سليم وعينيهما ممتلئتان بالدموع، وبدأت تحرك الشاشة من الأسفل إلى الأعلى فتقف عند رسالة منه، كانت تقول:

- بحبك.

نزف قلبها وجعاً، وتزداد رعشة يدها وهي تحدد بالرسائل بعينين تفيضان بأنهار من الدموع، فتمرر الرسائل من الأعلى إلى الأسفل بأصبعها في عصبية، ثم توقفت للحظات ووجدت نفسها تكتب إليه دون شعور:

- أنا كنت عندك النهارده، في أوضتك، بس أنا حسيت بروحك حواليا، كنت قريب أوي مني أنا حاسة إنك موجود، أنا عارفة إنك لسه موجود.. وأنا هفضل أحبك، ما حدش هياخد مكانك ولا حاجتك.

ثم قطع الصمت فجأة صوت كريم الهادئ، وهو ينظر لها بقلق قائلاً:

- محتاجة حاجة يا سدرا قبل ما أمشي؟

فانتفضت قليلاً، ثم أجابته بلغة الإشارة: «لا»، وهي تتحاشى النظر في عينيه، وتمرر ظهر كفها على وجهها المبلل..

رحل كريم وما زالت فكرة الانتقام من أحمد هي الرغبة الوحيدة التي تلح داخل عقله..

في صباح اليوم التالي نهضت سdra من الفراش تنظر للساعة، فكانت التاسعة تقريباً.. جلست على الفراش في وهن، ثم قامت وتوجهت نحو المطبخ، وهي تسير بخطوات مثقلة؛ كي تقوم بتحضير كوب القهوة بجسد يقاوم الانهيار.. ظلت تقلب القهوة على النيران بعينين سارحتين يعلوهما الأسى.. قطع شرودها غليان القهوة دون أن تشعر.. فانقضت ورفعت يدها سريعاً، وسكبت القهوة في الفنجان، وقامت بتحضير الطعام لسبيد وسيزر، ثم وضعتهم أمامهما، وهما لا يزالان نائمين.. بعد لحظات جاء كريم.. وجدها جالسة أمام النافذة ولم تلتفت له.. اقترب منها، وقبّل رأسها، وارتمى بجسده على مقعد جانبها قائلاً بعينين سارحتين:

- أنا مانمتش وقلت أنزل اتظمن عليكى أول ما اصحى.

مضت ساعة من الصمت، وفجأة نهضت سdra من على مقعدها، توجهت صوب النافذة تنظر للشارع من خلف الزجاج لاصقةً كفيها عليه، وكأنها تنتظر شيئاً ما.. بعد مرور دقائق رأت سيارة النقل قد وصلت، فهرعت نحو باب المنزل بعد أن ارتدت معطف سليم، فانقضت كريم وراءها ممسكاً بذراعها، وهو يسألها في تعجب والقلق يعتريه:

- إنت رايحة فين يا سdra!

سحبته من يده، وهي تمد خطاها نحو النافذة، ثم أشارت له على سيارة النقل، ثم أكملت بالإشارة:

- سواق العربية دي انزل وخليه يبجي.

فتعجب، ثم قال باستغراب:

- ليه يا سdra؟

فظلت تدفعه نحو الباب ليمتثل لما طلبته، فنزل كريم في حيرة وهي تراقبه عبر النافذة.. وبعد فترة من الحديث بدا أن كريم أقنعه رغم جهله بمعرفة الأمر، صعد الرجل مع كريم، حتى فتحت سdra الباب، فقال الرجل في ارتياب:

- أومريني يا افندم؟

وهنا أشارت لكريم أن يتفق معه على نقل غرفة سليم وجميع أغراضه إلى هنا مقابل مبلغ ضخم، ظلّ الرجل يحدّق في إشارات سdra، ويبدو على ملامح وجهه عدم الفهم.. أبلغه كريم بالطلب، فاستغرب الرجل، ثم قال:

- بس حضرتك الحاجات دي رايحة لدار أيتام.. وماينفعش يعني...

قاطعه كريم قائلاً:

- هتاخذ اللي انت عايزه .

ثم أكمل بنبرة حاسمة:

- يلا روح حملّ الحاجة كلها على هنا!

ثم قام كريم بندائه قبل أن يغادر، فالتفت له الرجل بجسده الضخم قائلاً بصوته الغليظ:

- أوْمُر يا باشا؟

- إنت اسمك إيه؟

فردَّ بضحكة:

- خدامك خليل يا باشا .

- بعد ما تنقل يا خليل ابقى سييلي رقم موبايلك .

- عينيا يا باشا!

بالفعل تم نقل غرفة سليم إلى بيت سدر ا بعد أن أفرغت غرفة الرسم الواسعة المجاورة لغرفتها؛ لتضع فيها غرفة نومه وملابسه وجميع أشيائه.. ظلت سدر ا تتحسس أثارها بابتسامة واسعة وعينين تملؤهما الدموع، وتشعر بروحه تحوم حولها.. وظل سبيد يقفز يميناً ويساراً في سعادة، وهو يركض ذهاباً وإياباً في جميع أركانها، ويحرك ذيله بسعادة بالغة، ويقف كريم على أعتاب الغرفة يشاهد سدر ا ويعتريه شعور مختلط بين السعادة والألم، اغرورقت عيناه بالدموع، ثم قال بابتسامة ممزوجة بحزن:

- مبسوطه يا سدر ا؟

فالتفتت له بابتسامة وعينين يعلوهما الحزن، ثم اقتربت منه، وأومأت له بالإيجاب وهي تكتم بكاءها.

* * *

بعد مرور أسبوعين خرجت سدر ا من عيادة طبيبها النفسي، وتوجهت نحو سيارتها، بينما وجدت خمس مكالمات من إبراهيم، فأرسلت له رسالة اعتذار، فقام بالاتصال بها:

- إزيك يا سدر ا؟

قالت له بصوت متحشرج:

- الحمد لله.. إزيك انت يا إبراهيم؟

- عايز أشوفك، إنتي فين؟

- أنا لسه طالعة من عند الدكتور.

- طب يلا تعالي نقعد في كافيه على النيل عارفك بتحببته.

ذهبت سدرا لمقابلة إبراهيم، جلست أمام النيل سارحة فيه بعينين ما زال الانكسار عنوانهما.. داخلهما صخب كبير وظاهرهما سكينه وضعف، يصفع الهواء بوجهها ويجعل خصلات شعرها الأمامية تتطاير وهي متجمدة كالصخر يلتف حول عينيها سواد الإرهاق والسهر والبكاء الطويل.. جلس إبراهيم بجانبها يدخن سيجارته وهو يرتشف القهوة، وما إن مضت عدة دقائق من الصمت حتى قالت بصوت ونبرة يشوبها الحزن:

- صعب أوي اللي بيعمله فينا الموت.

ردَّ إبراهيم متتهدًا:

- لازم نحس بكل ده عشان الحياة بيبقى ليها قيمة، الحياة نعمة غالية للي يقدرها.

ساد الصمت مرة أخرى، ثم أردفت:

- إزاي كل واحد فينا ممكن يكون مُهياً نفسياً للموت؟

فضحك ضحكة خفيفة:

- فكري فيها.. تخيلي إنك عرفتي ميعاد موتك، وليكن مثلاً بعد ١٠٠ سنة.. حتسيبي كل واجباتك في الدنيا، وحتفضلي مركزة في اليوم وفي التاريخ والساعة واللحظة، شوفي برغم إنه بعد ١٠٠ سنة هيضيع وقتك وعمرك بتفكري في اليوم دا.

ثم أكملت متتهدًا بنبرة تحمل جانباً من الأبوّة وحنانه المعتاد بالنسبة لها رغم فارق السنّ البسيط:

- صدقيني يا سدرا أنا حاسس بيكي جدًّا.. دي مجرد مرحلة بتعدي بيها مش حتفضلي كدا العمر كله.

لم تردَّ عليه، فتابع بصبر الآباء:

- فيه ناس عندها فوبيا من الطيران مثلاً.. الواحد منهم لو مسافرٍ ومضطر يركب الطائرة يفضل طول عدد ساعات الطائرة مش متخيل إنه هيوصل، وبفضل يفكر كل دقيقة هي الطائرة هتقع بيه إمتى.. وهو مذعور وقلبه بيدق، ولما بتوصل الطائرة خوفه بيتلاشى تماماً كأنه لم يكن، نفس الوضع في مشاكلنا وكل اللي بنمر بيه.. بتحسي إن الوجد بياخدك وينزل قاع عمرك ما هتعرفي تطلعي منه.. لكن دا مش صحيح.. إنتي في المحنة بتفتكري إن عمرها ما هتعددي، والجرح عمره ما هيندمل أبداً، ومع الوقت بيندمل وبتعددي، الإنسان مفطوم على النسيان والتعافي والتجاوز.. بينسى غصب عنه مش بمزاجه.. أو بمعنى أدق.. بيتجاوز.. ممكن ما ينساش لكن الحزن بيروح.. بعد كدا الحنين ممكن ياخدك لشيء انعدم ولشيء معادش موجود، لكن الحزن نفسه بيروح.. هتبكي بس البكا ساعاتها هيكون تفريغ شحنة حزن مؤقتة وبتروح لحالها..

الموت دا «حقيقة».. دائماً بنزل منها، بنخاف منها.. بيوجعنا إحنا، لكن ميوجعش الميت، دا بيكون راحة له، وهي دي الحياة يا سدر.

نظرت له وهي تفتح جفني عينيها بتثاقل قائلة بصوت شديد الضعف خرج بالكاد:

- إنت إزاي بالثبات دا يا إبراهيم؟

ضحك ضحكة بريئة وكأنه شاب صغير وقال:

- لو ماعملتش كدا هاتجنن، كريم برده بيعمل دا على طول.. لكن احكي لي بقى الدكتور قال لك إيه؟

- قال لي لازم أسافر وأغيّر الجو اللي أنا فيه ده.

- سافري يا سدر، وارمي ورا ضهرك، الحياة قصيرة مهما العمر طال، خدي وقتك في الحزن والبكا.. حتى التعب النفسي صاحبيه لو عرفتي علشان لو أصبح عدوك هتخسري، ماتقاوميهوش عشان ماتتعبيش، مجرد ما هتغيري الأماكن هترتاحي وتنسي ولو شوية بشوية، لكن في الآخر هتجاوزي وتنسي.. إنتي طول عمرك قوية وبتعددي الصعب.

(٨)

عادت سdra إلى المنزل تشعر بإرهاق شديد.. ارتمت بجسدها على الأريكة تنظر إلى السقف بعينين مرهقتين، وتفكر فيما قاله إبراهيم لها منذ قليل، ثم أخرجت هاتفها وفتحت الواتساب على رسائل سليم كالمعتاد.. كلما شعرت بوخز الألم والحنين ازداد بداخلها افتقادها لكلمات سليم.. ترتحل لرسائلهما كي تعيد قراءتها بعينين تذوبان وجعاً، مدّت يدها الأخرى، ثم بدأت في كتابة رسالة ثانية له، وكأنها ترسل روحها لتحوم حوله.. قالت لنفسها: «جسدي هنا وروحي غائبة حيث أنت».

في اللحظة ذاتها كان كريم يجلس داخل سيارة شيروكي سوداء على هضبة المقطم أمام سيارة أيمن.. راح يترقب نزوله من منزله، وبعد انتظار دام قرابة الساعتين لمح في المرأة الجانبية يقترب من سيارته، ويحمل بيده حقيبة ضخمة.. عندما استقل أيمن السيارة قام بفتح زجاج نافذة الباب الجانبية، فظهر كريم أمامه فجأة.. اتسعت عيناه في رعب وفزع، قام كريم بفتح باب سيارة أيمن وجذبه في صمت وبقسوة شديدة، وعينيه تظهر ان مقتناً شديداً.. ثم توجه به إلى سيارته، ودفعه بقوة داخلها، بينما يعتلي وجه أيمن الرعب، وهو يتساعل بنبرة مرتعشة:

- فيه إيه يا كريم بس؟

لم يزل كريم محتفظاً بصمته، وفي ذلك الحين ظهر «السائق خليل»، وانقضّ على أيمن من المقعد الخلفي، وبدأ يقوم بتكبييل يده وتكميم فمه.. ازداد رعب أيمن من شدة الفزع وهول المفاجأة وعينياه يعتليهما الذعر، ثم انطلقوا بالسيارة. وراح كريم يردد في غضب:

- أنا حلفت مش هاخسر حد بحبه تاني، أنا هاجيب حق سليم.

* * *

حلّ الليل، ومثل كل ليلة يعلن رحيل سليم من جديد، فيجدد بداخل سdra الوجد، وتلتهم نيران الألم روحها، يطيح الوجد بها نحو عالم أكثر ظلاماً وأشد عتمة.

كانت تجلس أمام النافذة تتأمل السماء، وطال المكوث أمامها في تلك الليلة، حتى إنها أهملت تناول الدواء الذي أصبحت تشعر بأنه مجرد تسكين مؤقت لروح ممزقة أو مُخدر لتألف غيابه.. ثم سحبت الهاتف بأناملها المرتعشة؛ لتكتب إليه عبر الواتساب:

«هل تشعر بروحي تحوم حولك مثلما أشعر بروحك تحوم حولي كل ليلة؟».

في نفس الوقت استقل كريم سيارته متجهاً إلى الإسكندرية، حيث قام بإخفاء أيمن في فيلا العجمي التي تملكها عائلته.. مكث معه خليل داخل غرفة صغيرة تقع بحديقة الفيلا.. انتفض خليل سريعاً من على الأرض متوجهاً خارج الغرفة، حين سمع صوت سيارة بالخارج عند المرآب، وبيده عصي

خشبية ضخمة، وبنظرات متوعدة، لكنه وجد كريم هو من أتى.. سأله كريم بمجرد نزوله من السيارة:

- هو فين؟

- نايم جوا حضرتك.. معلى يعني حضرتك ما قصدش بس إحنا هنفضل خاطفينه لإمتي؟

ردّ كريم وهو تعلى عينيه الحيرة:

- أولاً إحنا مش خاطفينه، أنا بس عايز أجيب رجل صاحبه، ثانياً لسه مش محدد المدة المهم بيجي.

استدار خليل بجسده الضخم قائلاً بحماس ونبرة واثقة:

- مش مهم، أنا مستبيع!

وضحك ضحكة مطمئنة مردفاً، وهو يرتشف رشفة مزعجة من كوب الشاي:

- أصل بصراحة المبلغ اللي حضرتك ادتهولي يعيش بيتي وعيالي سنتين مستريحين.. وأنا ما كنتش عايز حاجة أكثر من كده!

فقال كريم متنهداً وهو متوجه نحو الفيلا من الداخل:

- ماشي يا عم المستبيع.. أنا بس عايزك تفهم إننا مش بنعمل جريمة.. ده حق واحد مظلوم وبنجيبه.. مش بلطجة يعني.. يلا أنا داخل جوا في الفيلا لو احتاجت حاجة يا خليل ابقى ناديني!

* * *

نزلت سدرًا من سيارتها عصرًا، وهي تخطو بقدميها التي لا تقوى على حملها، تركت باب السيارة مفتوحاً، وهي تصعد درجتين مؤديتين إلى مكان قبر سليم.. قبل أن تفتح الباب سقط من يدها مفاتيح البوابة فانحنت بوهن لتلتقطها من على الأرض، وبشكل ما وجدت نفسها تنظر لهاتفها.. كتبت دون أن تشعر:

- ألا تشعر بروحي يا سليم تحلق على أعتابك.. وتقرب جداً من عالمك؟

ثم ضغطت بإصبعها على زر الإرسال كالمعتاد..

ألقت نظرة أخيرة على الرسالة، ثم اتسعت عيناها، وتبدلت ملامحها، وبدا الوجود على تعابيرها، وهربت دمعة من عينيها، وهي تحرق بشاشة الهاتف في توجس حين رأت ما كُتب أسفل الرسالة:

Message Seen!

لم تصدّق.. نقلت بصرها سريعًا لأعلى الشاشة لتجد أسفل اسم سليم:

Last seen at 15:30!

ثم تبدلت كلمة Last Seen إلى Online وكأنها تبدلت عمدًا حاملة في طياتها رسالة خفية، وما إن تذكرت سdra أنها لم تجد هاتف سليم منذ ليلة وفاته حتى ركضت إلى سيارتها أمام بوابة المدافن الحديدية الضخمة.. جلست في السيارة بوجه يكسوه الذهول تمرر أصبعها على شاشة الهاتف بعصبية وعينين معبأتين بالدموع، باحثةً عن رقم إبراهيم! قامت بالاتصال به، ولكن لم يردّ، فنزلت سريعًا من السيارة لتغلق البوابة بالقفل، ثم عادت إلى السيارة فوجدت اتصالاً من إبراهيم!

فأسرعت تجيبه بنبرة مرتعشة وهي تبكي:

- إبراهيم إنت فين؟

فقال بصوت يكسوه القلق:

- ما لك يا سdra؟

- أنا حاسة إن سليم عايش!

- طب اهدي يا سdra، أنا جايلك!

فردّت سdra والبكاء يخالط صوتها:

- أنا عند قبر سليم!

- طب رُوحي على البيت وأنا جايلك!

راحت ترتعش كثيرًا بعدما أنهت المكالمة معه، وهي تتساءل هل هذه تخيلات مثلما ترى جدّتها أحيانًا أم إنها حقيقة؟ كانت متأكدة أنها حقيقة.. فتحت الرسالة مرة أخرى لتتأكد فوجدت الجملة كما

هي! Last seen at 15:30

بعد مضيّ ساعة وصل إبراهيم منزل سdra، وفتح باب المصعد وجدها مغشيًا عليها أمام باب الشقة، فاعتراه الخوف، وقام بنداء رجل الأمن بعصبية؛ ليصعد ويحملها إلى الداخل، ثم قام بالاتصال بأحد أصدقائه الأطباء ليأتي ولم تمضِ نصف ساعة إلا وقد أتى الطبيب، وبعد أن قام بالكشف عليها خرج من الغرفة، وكان ينتظره إبراهيم بالخارج.. سأله في لهفة:

- أخبارها إيه؟

ردّ الطبيب بنبرة تحمل بعض الحيرة:

- والله يا إبراهيم من الواضح إن حالتها النفسية سيئة جدًّا، وأنا مش عارف أفولك إيه؟

- خلّصني يا حسين مش فاهم، صدمة عصبية يعني؟؟

- بُص يا إبراهيم هي واضح إنها اتعرضت لصدمة شديدة ماعنديش فكرة من أي نوع.. ثم أكمل متهدًّا:

- بص محتاجين نعمل سونار، وبعدها هقدر أقول لك شكّي..

كانت سدرا قد بدأت تستفيق شيئاً بسيطاً، ودون تردّد نقلها إبراهيم بمساعدة رجل الأمن، وصديقه دكتور حسين إلى مركز للأشعة في نفس المنطقة، وبعد عودتهما وصل تقرير السونار إلى د. حسين، وكان كما توقع.. نظر بحيرة إلى إبراهيم وقال بتردد شديد:

- سدرا حامل.

فخفض إبراهيم رأسه في صدمة قائلاً: حامل؟

ثم دخل لغرفة سدرا، وبعد أن قضى معها بضع دقائق خرج منها هادئ الملامح بعد أن كان قد انتابه قلق شديد.. ثم أجرى مكالمة مع كريم، وسمعه د. حسين وهو يقول لكريم:

- يعني يا كريم حاجة زي دي ماعرفهاش إزاي؟

ثم ردّد بينه وبين نفسه:

- مساكين مالحقوش يفرحوا.. ربنا يرحمك يا سليم.

أنهى المكالمة مع كريم، وهاتف أمينة طلب منها أن تأتيه فوراً، ثم أنهى المكالمة وردّد لنفسه: أنا كنت واثق إنها اتجوزته، وواضح إنها كانت بتمهّد تقول لنا قبل ما يموت، لولا ظهور أحمد اللي بوظ كل حاجة منه لله! ربنا يرحمك يا سليم.. ربنا أراد يبقى لها حاجة منك بعد موتك.. وهربت دمعة حزينة من عينيه رغم فرحه بخبر حمل سدرا.

فنظر له صديقه من أسفل نظارته المستطيلة قائلاً بنبرة يملؤها الفضول:

- ربنا يرحمه.. هو والد الجنين مات؟

- ربنا يرحمه يا حسين.. ربنا يرحمنا جميعاً.. طول عمرها حظها قليل.. لكن ربنا رحمته كبيرة.

ثم استأذنه إبراهيم بعد أن شكره، وهمَّ بالدخول إلى غرفة سدرا، فوجدها تخرج من الغرفة بقدمين ثقيلتين، ووجه شاحب تستند على الحائط بيدها.. اقترب منها لتتكئ على ذراعه، فقال في انفعال رغماً عنه:

- هو إنتي ليه بتعملي كل ده في نفسك؟ ليه مصممة تعيشي وتتحملي كل حاجة لوحداك؟

ارتمت بجسدها على أول مقعد في إرهاب ولم تردّ.. ظل يرمقها في حيرة مردفاً:

- سدرا لازم تلتفتي لصحتك ماتخلصيش على نفسك.. إنتي بقيتي مسؤولة عن روح تانية غيرك دلوقتي.

ثم قطع حديثه جرس الباب، فأردف:

- خليك انتي أنا هافتح دي أمينة.

دخلت أمينة بيدها حقائب، ويبدو عليها التعب، وتوجّهت نحو المطبخ قائلةً بنبرة صوتها الرفيعة:

- إزيك يا أنكل؟

- معلش يا حبييتي جبتك كده على ملا وشك.

توجهت نحو سدرا تحتضن رأسها بحنو، بينما هي جالسة على المقعد كالجثة.

نهض إبراهيم يشعل سيجارةً وقال لسدرا:

- أنا همشي دلوقتي لازم نجهز شوية حاجات مهمة!

ثم نظر لسدرا في عينيها وقال بصوت مازح:

- ماتقعيش تاني أنا راجل عندي السكر وماقدرتش أشيلك!

ابتسمت أمينة ابتسامة خفيفة، وتوجّهت نحو الباب وأمينة خلفه، فانحنى على أمينة قبل أن يفتحه قائلاً بصوت خفيض: كمان ساعة هبعث حاجة مع الأمن تدخلها أوضة سدرا على طول ماشي؟ فأومأت رأسها إيجاباً..

العجمي - الساعة ٨:٣٠ مساءً

استلقى كريم على الفراش، ويده هاتف أيمن، وراح يقلّب في الرسائل بينه وبين أحمد باحثاً عن أي دليل ضدهما، ولكن بحثه كان دون جدوى، فوضع الهاتف بجانبه في حيرة، وهو يعلم جيداً أنه لن يصل لشيء.. ظلّ يحملق في السقف بعينين تعبيتين من كثرة السهر والتفكير، وتتراكم الأفكار داخل عقله كلما أراد أن يغمض عينيه..

وفي منزل سدرا رنّ جرس المنزل، فتحت أمينة فوجدت رجل الأمن الخاص بالعقار يمد يده بحقيبة صغيرة قائلاً: من الأستاذ إبراهيم!

أخذت أمينة الحقيبة وضعتها جانب سدرا على الفراش بهدوء، فاستيقظت سدرا من غفوتها على صوت خطواتها، فهست لها أمينة بهدوء:

- دا أنكل إبراهيم بعنك الشنطة.

ثم قبلت رأسها وانصرفت..

نهضت سدرا وجلست على الفراش تفرك وجهها في تعب، سحبت الحقيبة بتثاقل، تتفقد ما بداخلها، فاعتلى وجهها التعجب حين رأت قطع ملابس زاهية وجميلة لطفل رضيع، أخذت تتفحصها عاقدة حاجبها.. وبدأت تدرك حقيقة الأمر.. لم تدركه عندما أخبرها الطبيب منذ ساعات، لكنه أصبح حقيقة ملموسة تدركها بيديها وعينيها..

وبعد لحظات انتفضت من الفرحة.. خفق قلبها بشدة، وتوقّف الزمن فجأة.. أدركت حقيقة أنها ستصير أمّاً بعد عدة أشهر.. ثم نظرت بطرف عينيها، واعتلت وجهها ابتسامة يخالطها ألم، تساقطت من عينيها الدموع، واحتضنت ملابس الطفل بذراعيها، وانغمست في ضحك متواصل يخالطه أنهار من الدموع.. التفتت فجأة حين رنّ جرس وصول رسالة على الواتساب من إبراهيم قائلاً:

- دي هبة من ربنا، حنة من سليم علشان يفضل معاكي العمر كله، وألف مبروك، عرفني بقى الدنيا كلها بس خليك حريصة.

فنظرت إلى الرسالة شاردةً بابتسامة حزينة، والدموع تتساقط من عينيها، قطع شرودها جرس المنزل، فانتفضت ونظرت حولها، ثم لملمت سريعاً تلك القطع الصغيرة داخل الحقيبة، وأغلقتها بإحكام وضعتها أسفل الفراش، وأحاطتها ببعض الأغراض كي تخفيها، وأثناء توجيهها نحو باب المنزل تجمّدت ساقاها فجأة، وغفت عيناها للحظة تجمدت معها الوقت، شعرت أن سليم قريب جداً منها، وشعرت بظله يهيم في كل أرجاء المنزل، وبعد أن أفاقت من غفوتها اليقظة أكملت بخطوات

متباطئة، فتحت باب المنزل، لم تجد أحداً.. أخفضت رأسها في أسي دون أن تأبه، فوقع نظرها على حقيبة بلاستيكية صغيرة على أعتاب المنزل، فانحنى نحوها تمد يدها بتوجس واعتراها الوجود عندما وجدت بداخلها زجاجة عطر سليم!

* * *

رنّ جرس هاتف كريم على المقعد بجانبه أثناء قيادته السيارة عائداً من الإسكندرية، وكان المتصل إبراهيم، فأجابه بنبرة صوت هادئة:

- أيوه يا صديقي.

- مختفي فين؟

- كنت في إسكندرية بس بخلص شغل.

- طيب يا كريم.. بخصوص حمل سدر ا الموضوع بقى مش بسيط.. محتاجة رعاية واهتمام.. لازم نبقى كلنا جنبها.. وأنا حالتها مش عاجباني أبداً؛ بتحصل لها أوهام وتتخيل حاجات غريبة لدرجة إنها بتشك أن سليم لسه عايش..

لم يتفاجأ كريم من كلامه، لكن ازداد خوفه عليها أكثر مما كان يشعر، لكنه فرح كثيراً في كل مرة يتردد موضوع حمل سدر ا في ذهنه.. فرح أن سدر ا استطاعت في النهاية الزواج من الشخص الذي استحق كل هذا الحب.. تمنى لو سمح لها الوقت أن تحيا معه وقتاً أكبر.

وبعد فاصل من الشرو د في كل هذه الأفكار قال لإبراهيم:

- إيه اللي قالك تحديداً فهمني؟

- سدر ا كل شوية تقولي سليم ماماتش، وانتوا مادفنتهوش، وحاجات كده غريبة، يعني يوم مثلاً لما راحت زارت قبره كان معاها إزاة البرفان بتاعته، اتھیألها إنها نسيتهأ هناك وهو جابها لها وحطها على الباب! ومرة تانية تيجي تقول لي إنه بيفتح رسايلها على الواتساب وبيشوفها؟ حالتها صعبة فعلاً، وأنا تعبت ومحتاجك هنا أكثر معاها!

تتهد كريم في حيرة قائلاً:

- أنا قدامي ساعة وأوصل إن شاء الله، وهكلم الدكتور بتاعها علشان آخذ معاها ميعاد وأعرف كل حاجة بطريقتي.

* * *

دخل كريم المنزل في المساء.. وجد سدرًا كعادتها جالسة أمام النافذة، وهي تنظر إلى شرفة سليم من خلالها، وبجانبها سبيد وسيزر، فاقترب منها، وجلس بجانبها بعد أن قبّل رأسها.. التفتت له بابتسامة هادئة وعينين ذابلتين قائلة بصوت هادئ:

- حمدا لله على سلامتكَ، كنت بتعمل إيه في إسكندرية؟

فأجابها وهو يتجنب النظر إليها:

- كنت في فيلا العجمي، كان فيها مشكلة رحت خلّصتها.

ثم نهض يردف متنهّداً:

- أنا أسعد واحد في الدنيا بالخبر اللي سمعته، سليم كان إنسان عظيم، وكنّا تستاهلوا بعض، ومن هنا ورايح مش عايزك تشيلي هم حاجة أبداً.

عانقته بنظراتها الحانية، فاقترب منها يقبّل رأسها، ويستكمل حديثه المطمئن:

- واعملي حسابك عندنا ميعاد عند الدكتور.

أخرجت سدرًا الهاتف من جيبها في هدوء، وكان فكرة لمعت بعقلها فجأة، ثم أخذت تلتقط صوراً لشرفة سليم، وتقوم بإرسالها لرقمه على الواتساب بابتسامة واسعة وظلت تتفقد الرسالة من حين لآخر، وكأنها تنتظر شيئاً، ولم تمضِ ثوانٍ حتى رأت أسفل الصور:

Message Seen

اتسعت عينيها بسعادة وفي نفس اللحظة أفت انتباهها وميض البرق خارج النافذة، فاقتربت منها بحماس، وما زالت الابتسامة تكسو وجهها، وترمق السماء بنظرة رضا والسواد ملتف حول عينيها.. ركضت إلى شرفة صغيرة مطلة على الشارع، وقفت داخلها ورفعت رأسها، ثم أحست بحركة في أحشائها، فأخذت تتحسس بطنها، وتتفجر منها ضحكات هادئة في سعادة.. لم تعلم أنها حركة عادية لبطنها، وأن الوقت ما زال مبكراً جداً على حركة جنينها، لكنها تشجعت وكتبت إليه:

- أحمل جزءاً منك داخل رحي، فستظل معي حتى آخر العمر!«

Message Seen

في نهاية الأسبوع اصطحب كريم سدرا لزيارة طبيبها النفسي الذي نصحتها بعدم إهمال العلاج مرة أخرى، وأصرَّ على السفر في أقرب وقت مناسب لمنحها فرصة للارتياح، والبعد عن ظروف الحزن المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمكان؛ نظراً للإجهاد النفسي الذي تعرضت له تلك الفترة في هذا المكان..

بالفعل جهَّز كريم جميع أوراق السفر بسرعة شديدة، وبنهاية الأسبوع التالي حجز تذكرة إلى لندن.. لم تكفَّ سدرا عن إرسال رسائل لرقم سليم، ولكن لم تُعد تلك الرسائل تصل ولا تُقرأ.. وعاد الجحيم يخلق بداخلها من جديد.

لندن - الساعة التاسعة ونصف مساءً

جلست سدرا ترتشف كوباً من القهوة الخفيفة الممزوجة باللبن؛ تنفيذاً لنصائح الأطباء الواضحة.. تعانق الكوب بكفيها، وهي تتأمل السماء بنظرة هائمة من خلال نافذة زجاجية طويلة، تجلس على حافتها، وتتصارع التساؤلات في ذهنها.

ربما كانت أشياء لم تحدث بالفعل.. مجرد أوهام وصور ابتدعتها عقلي؛ رغبةً في الهروب من أمر أكثر وجعاً، ربما أطلق عقلي العنان ليستحوذ الجنون على جزء منه ليستريح قليلاً من أمر أشدَّ إيلاًماً، فالحقيقة ليست دائماً طوقاً للنجاة.

وفي صباح اليوم الثاني نزلت تتجول في الطرقات، وقد بدا الجو ضبابياً والغيوم تكسو المدينة، كانت تسير بوجه تتعكس عليه ظلال الحزن، إلى أن دلفت إلى متجر صغير يعرض ملابس الأطفال حديثي الولادة، فأخذت تتأمل تلك القطع الصغيرة بعينين دامعتين تخالطهما ابتسامة باهتة، راحت تتحسسها فيبعث فيها شعور بالراحة والدفء، قامت بشراء غطاء أبيض اللون، وظلت تهيم في الشوارع، وهي تتحدث مع سليم في خيالها:

- الآن صرتُ أعلم جيداً أنك قد فارقت الحياة، وأعلم جيداً أيضاً أنك مازلت حيّاً.

ولم تعد سدرا تنتظر علامة أن «الرسالة قد تم تسليمها»، بل كانت تسعى لاكتشاف ما يحدث مهما كانت تكلفة الأمر.

عند الساعة الثانية عشرة في منتصف الليل كان كريم يجلس على مقعد في الكافيه الذي ظل يتردد عليه في الآونة الأخيرة، ويبدو شاردًا مستغرقًا في التفكير..

ولم يقطع صخب الموسيقى الذي يملأ أرجاء المكان استغراقه، كان يشعل السيجارة وينفث دخانها بنظرة ساهمة.. إلى أن ألقى نظرة على شاشة هاتفه، فوجد رسالة من رقم مجهول، فنظر إلى الشاشة في استنكار، قام بفتح الرسالة في لامبالاة، وبعد لحظات انتفض واقفاً واتسعت مقلته على آخرهما، وسكنت الدهشة قسما وجهه عندما وجدها مقاطع فيديو مصورة لأحمد وهو يهرب بعد قتل سليم! الأمر الذي يقوده في ناحية أن هنالك من حاول اللحاق بأحمد؛ للانتقام منه، ربما أو حتى لإثبات التهمة عليه، هنالك من كان يتبع سليم في خطواته، لكن تتبعه كان متأخراً..

كانت سدرا في لندن على أحد المقاعد العامة في الهايد بارك، وقد تسلل إليها شعور بالدفء، حين رأت طفلاً يركض أمامها مع أمه، ظلت ترمقه وتعتلي عينيها ابتسامة حزينة.. إلى أن رن جرس الواتساب معلناً عن وصول رسالة من كريم.

- سدرا إنتي راجعة إمتي؟

- بكره.. ما أنت عارف..

- هو قبل موت سليم ما حسيتش إن فيه أي حد كان بيراقبكم؟

فعقدت حاجبيها في استغراب، ثم كتبت له:

- بيراقبني ازاي؟ مش فاهمة حاجة؟ هو فيه إيه يا كريم؟

لم يرد كريم على آخر رسالة، فوضعت الهاتف جانبيها في سكينة حين تذكرت ميعاد دوائها، فسحبت حقيبتها، وأخذت تقتش عن شريط الدواء، وأثناء انغماسها في البحث، رن جرس وصول رسالة عبر الواتساب، فلم تكثرث، وواصلت البحث عن دوائها فلم تجده، فرن جرس الواتساب مرة أخرى لوصول رسالة جديدة، رمقت شاشته بنظرة خاطفة، وهي تفرغ الحقيبة على المقعد، ثم أعادت النظر للشاشة بملامح واجمة واختلج قلبها، وتركت أغراضها تتناثر على الأرض من الصدمة، أمسكت الهاتف ويدها ترتعش بقوة، وما إن اقتربت من شاشته حتى راحت تزداد ضربات قلبها حين رأت اسم سليم أعلى الشاشة وأسفله رسالة لا تحتوي على شيء سوى «نقطة»!

فركضت سريعاً نحو أحد المارة؛ لتتأكد من أن ما تراه حقيقة، وأنها ليست هواجس أو أوهاماً تطاردها مجدداً، أوقفت سيده مسنةً أمامها، وأشارت لها أعلى الشاشة تسألها بتلهف إن كانت توجد رسالة أم لا؟ التفتت لها السيدة في استغراب، ورمقت الشاشة بحرص، ثم أعادت النظر إليها مرة أخرى قائلة:

- أي رسالة.. لا توجد رسالة!

فكست خيبة الأمل وجه سدرا، وقبل أن تتصرف تلك السيدة أردفت:

- مجرد نقطة لا توجد رسالة!

تبدلت ملامح سدرنا واعتراها شعور مختلط ومخيف، وتوجهت نحو حقيبتها تلملم أشياءها في عجلة كأنها تسرع للحاق بشيء.. عادت إلى البيت وجثت على ركبتيها تحدد في الرسالة، وتحسس الشاشة بأناملها بابتسامه يخالطها الدموع.. تخشى أن تكون تلك السيدة التي أوقفتها في الطريق مصابة هي الأخرى بمرض الوهم..

ثم شرعت في كتابة رسالة ويدها ترتجفان، وتنسكب الدموع من عينيها، وتحقق في الشاشة بنظرات رجاء وتوسل:

لو انت سليم ماتخفيش... ماتخفيش تاني.. أنا محتالك.

Message Seen

* * *

وفي اليوم التالي عادت سدرنا إلى القاهرة، استقبلها كريم في المطار، وأثناء عودتهما إلى المنزل فتح باب الحديث قائلاً بتأثر:

- أنا حاسس إنك اتحسنتي شوية.

أومأت برأسها في صمت، وكل منهما تعصف بعقله الأفكار.. جزء طفيف منها يرغب بشدة في معرفة من خلف شاشة سليم؟ وجزء هائل لا يبالي بالأمر، ويتمنى لو كان هو فحسب، يكاد الصراع يقتلها.. إلى أن قاطع كريم تفكيرها مردفاً بحماس مصطنع:

- إحنا لازم نحتفل بعيد ميلادك الأسبوع الجاي!

فأومأت مرة أخرى برأسها إيجاباً بهدوء، ولم تكف الأفكار عن التنزه داخل عقلها طوال الطريق.. حتى غيرت الموضوع وسألته عما كان يقصده بأن أحدهما كان يراقب سليم أو يتبعه؟ لكنه استطاع التملص من السؤال بطريقته، وما أن وصلا أمام المنزل حتى نزلت سدرنا وهي ترمق شرفة سليم، وتعطي عينيها ابتسامه هادئة.. أغمضت عينيها بتنهدي كأنها تعانق سرها سرًا.

واصل كريم طريقه إلى المرآب، وعند نزوله من السيارة وجد رسالة على الواتساب من نفس الرقم المجهول الذي قام بإرسال فيديو ما بعد مقتل سليم نصها:

«كان لازم تحاول تعرف أنا مين أكثر من كدا.. أداك ضعيف جدًا.. كنت فاكرك أذكى من كده! بس اتضح إن تصرفاتك طايشة ومش بتدرس أي شيء بتعمله.. أيمن اللي انت خطفته كطعم لصاحبه المجرم مش هيوصلك لحاجة.. هتلبس نفسك مصيبة لما يموت منك وأنت تتسجن».

بعد أن قرأ الرسالة شعر بالغضب، وتسأل بداخله شعور بالعجز، فلم يتمالك أعصابه وأخذ يركل السيارة بقدمه بقوة في عصبية يفرغ شحنه الغضب الذي تملكه، ثم استند بجسده الخائر عليها ينتهد في تعب! وبعد لحظات استقبل رسالة أخرى من نفس المرسل نصها:

«ماتقلش إنا هدفنا واحد، وأنا هقولك تعمل إيه، عامةً خليك محتفظ بأيمن عندك هو يستاهل اللي يجرى له لحد ما تجيلك رسالة تانية مني.. في بيني وبين أحمد تار قديم».

تبدلت ملامح كريم بعد أن قرأ الرسالة، وقطب حاجبيه بوجه شاحب، وظل عالقاً لدقائق بين الدهشة والحيرة!

* * *

(١٠)

دخلت سدرا إلى فراشها وهي تتمم بكلمات أغنية Fly me to the moon وتحملق بالسقف، ويحيطها كلباها من الجهتين على حافة الفراش، حتى قاطعها صوت هاتفها، معلناً عن وصول رسالة عبر الواتساب، فالتقطت هاتفها من على المنضدة، وفتحت لتجد رسالة بها ورده من رقم سليم.

ارتسمت على وجهها ابتسامة وهي تكتب إليه:

- طالما أشعر بروحك الدافئة تحوم حولي تتواصل معي من مكان ما.. لن يهزمني الألم أبداً.

وفي اليوم التالي استيقظ كريم على رسالة كان ينتظرها من ذلك الرقم المجهول.. فانتفض جالساً يفرك وجهه بعصية، ويستجمع تركيزه، وتنتقل عيناه بين السطور سريعاً بعينين متسعيتين وهو يقرأ: «هقابلك النهارده بليل الساعة ٩:٠٠ في المكان اللي هبعتهولك، أحمد في مصر، ودي فرصتنا الأخيرة بعد ما عرف باختفاء أيمن.. هو مش فارق معاه، لكنه زي أي مجرم هيحاول يتطمئن إن ما فيش أي خيوط تدينه وراه.. لازم يقع في الفخ.. وهو رايح له برجله، ومش هيطلع منه طول ما معانا الفيديو وهو نازل من السلم بيهرب بعد ما قتل سليم».

الساعة ٩:٠٠ مساءً

دخل كريم بيتاً صغيراً مظلماً بمكان مهجور يقع على طريق مصر- إسكندرية الصحراوي، دلف إليه بخطوات مضطربة، يطوف ببصره في كل أرجاء المكان، فسمع صوت خطوات تقترب منه، فالتفت حوله بقلق، ثم ظهر أمامه رجل يحجب الظلام وجهه، فزع كريم، ولم يتمكن من رؤية ملامحه، وحين اقترب منه تبدد الظلام من على وجه الرجل.. رأى أمامه رجلاً غريباً يسكن الحزن قسمات وجهه.. شعر كريم أنه يعرفه من قبل، لكنه لا يذكره على الإطلاق..

رجع خطوتين إلى الخلف، فقال الرجل بصوت هادئ:

- عايز تفهم، مش عايزك تستغرب.. أنا عايزك تعرف إنك وفرت عليا كتير أوي وعملت لي جميل مش هانساهولك!

قال كريم بنبرة خفيضة وما زالت الدهشة تكسو وجهه:

- إزاي؟

- أنا عقيد شرطة سابق، أحمد كان صاحب «عمرو» ابني الله يرحمه.. وأبوه كان صاحبي من ٨ سنين.. سافر عمرو مع أحمد الساحل وخمسة صحابهم، أحمد كان شايل معاه طبنجة وكان متوهم إنها مش متعمرة..

ثم أكمل بنبرة مليئة بالأسى:

- وهو بيهزر مع «عمرو» خرجت طلقة جت في جنبه، وكان لسه فيه الروح، فضل يستغيث بيهم، بس علشان يبعدوا عن الأسئلة رموا جثة عمرو في البحر باليخت بتاع أحمد، وبعدها هرب أحمد لأمريكا، واتجوز هناك وخذ الجنسية والقضية اتقيدت ضد مجهول زي قضية سليم كدا بالظبط.. وبعد ما أبوه مات فضلت أراقب خطواته كل ما أعرف إنه في مصر..

أشعل سيجارة ثم أردف بنبرة أسى:

- إنت فيك من ابني كتير يا كريم.

قال كريم وقد بدا على وجهه التأثر بنبرة يشوبها الحزن:

- هو ممكن أسأل حضرتك سؤال؟

فالتفت له قائلاً بنتهد:

- أكيد.

- هو حضرتك عرفت التفاصيل دي كلها ازاى؟

- واحد صاحبهم الوحيد اللي كان عنده ضمير، وحاول ينقذ عمرو، وجاله انهيار عصبي، وأحمد هدده بالقتل.. أحمد دا شيطان في هيئة بني آدم، لازم نخطط بحرص شديد جداً علشان ياخذ جزاءه.. متخافش يا كريم خطف أيمن مش هيحطك في مشكلة، أنت هتروح تقدم بلاغ تاني بالدليل اللي معاك اللي هو «الفيديو».. هتطلع على العجمي وهتكلم أحمد الصبح تستدرجه، سيب الباقي عليا هنقول في التحقيقات إن أنت نصبت له الفخ دا بمعرفتي مسبقاً علشان تسهل القبض عليه..

لم يستغرق كريم وقتاً طويلاً في التفكير.. وافق على الفور، وقد شعر في النهاية أن حقّ سليم لن يضيع.. قام كريم في اليوم التالي بتقديم البلاغ، ثم استقل سيارته، وانطلق بها بقوة حتى وصل إلى الإسكندرية بعد مرور ثلاث ساعات، دلف إلى غرفة الحديقة، مما جعل خليل ينتفض من مكانه بجسده الضخم حينما رأى كريم قائلاً:

- مش عايز يا باشا يكلم شريكه ده.. بقاله يبجي شهر وأزيد وعامل فيها قتيل!

رفع أيمن رأسه وفتح عينيه قائلاً بصوت خفيض:

- إنت بتعمل كدا ليه يا كريم؟ أنا ماليش دعوة، وانت متأكد من ده.

اقترب كريم من وجه أيمن، وجذبه بقبضة يده من شعره بقوة صارخاً بوجهه قائلاً:

- صاحبك حرق قلبنا كلنا، وانت أصلاً شريكه في كل حاجة، وهو مستحيل يجازف بإنك ممكن تعترف عليه أو لا، وهبيجي!

ثم أردف قائلاً:

- هات يا خليل موبايله!

فهم خليل سريعاً، وانتزعه من جيب جلبابه الفضفاض، ثم وضعه في يده، جلس كريم على ركبتيه، وما زال ممسكاً بأيمن بقوة، وبعد أن استدعى رقم أحمد وشرع في الاتصال به ردّ بعد عدة رنات: ألو.. ألو..

جذب كريم رأس أيمن بعنف ليتكلم، فردّ أيمن بصوت متقطع وهو يلتقط أنفاسه: أحمد، الحقني!

فوضع كريم الهاتف على أذنه بنبرة استخفاف:

- صاحبك اللي هيفضحك معايا!

قال أحمد صارخاً: إنت ولا تقدر تعمل حاجة!

قاطعته كريم بنبرة باردة:

- لأ أنا عايزك تهدي، وتكون عندي هنا ٦ الصبح، ولو حاولت تبلغ البوليس مش هتاخذ حاجة غير إنه هيعرف كل حاجة عن كل اللي عملته في حياتك، وهتروح في داهية.. ودا وعد مني!

أغلق الخط والتقت سريعاً لخليل قائلاً بحسم:

- خليل ساعتين كدا، وتطلع تقف على باب الفيلا؛ لأنه ممكن بييجي قبل كدا.

أوما خليل برأسه إيجاباً دون تفكير قائلاً: عينيا يا باشا!

وفي اليوم الثاني في تمام الساعة السادسة والربع صباحاً وصل أحمد.. كان كمين الشرطة محكماً، وبغروره الشديد قام أحمد بتبادل إطلاق النيران مع رجال الأمن، وبمرور دقائق كان أحمد يبصق دماً ورصاصات رجال الشرطة لا تزال مستقرة في جسده، نجح كريم في استدراجه ونصب الفخ له.. وعندما حاول أن يقاومهم بعناده التقليدي لقي ردهم في صورة رصاصات غاضبة مزقت جسده؛ ليغمض أحمد عينيه في ألم وتخذ حركته إلى الأبد.. ويتم القبض على أيمن بعد التفتيش، والبحث في خلفية أعمالهما المشبوهة في نهاية المطاف.

* * *

في صباح ٢٦ ديسمبر يوم ميلاد سدرا نهضت من فراشها تشعر بشيء من السعادة التي لا تعرف مصدرها، فقط ترى كل شيء حولها جميلاً ومبهجاً.. دلفت خارج الغرفة، فلفت انتباهها مشهد زاد روحها سعادة، حين رأت سبيد وسيزر يلعبان في هدوء، خلفهما شجرة الكريسماس تتراقص أنوارها على نغمات الموسيقى.

كانت جميع النوافذ مفتوحة، ويتخلل المنزل ضوء الشمس الساطع من كل اتجاه، معلقة في جميع زوايا المنزل أنوار ملونة، تنثر فيه البهجة، وتبعث فيه الروح مجدداً.

وقفت تطوف ببصرها وبينما تعتلي وجهها ابتسامة ناعمة، شعرت أن هذا الصباح يحمل أمالاً جديدة، فركضت سريعاً نحو سيزر وسبيد، وجلست على الأرض فالتفت الكلبان حولها، تعانقهما بحنو، وفي تلك اللحظة دخل كريم المنزل، يبحث ببصره عن أمينة، وهو يناديها فاستوقفه ذلك المشهد.. ظل يرمق سدرا في سعادة، ثم قال لها بعينين لامعتين:

- حمدالله على السلامة!

نظرت له بابتسامة ناعمة، وهي ما زالت تداعب كلبها، فاندفع نحوها وأردف ضاحكاً:

- أخيراً دا أنا كنت قربت أنسى شكلك وانتي بتضحكي!

فأطاحت بيده من على وجهها مازحةً وهي تضحك، أنت أمينة من المطبخ تحمل بيدها فنجاناً من القهوة، قائلة بصوت يملؤه الحماس:

- كل سنة وانت طيبة يا سدرا، عقبال مليون سنة يلا عملت لك قهوتك.. هي صحيح كلها لبن وكريمة وما فيهاش ريحة البن، بس برده اسمها قهوة.. تعالي اشربها قبل ما تبرد.

ثم قاطعهم جرس الباب، ففتح كريم الباب، وجد أمامه رجلاً يحمل باقة ورد ضخمة، فنظر كريم له في استغراب، فمدَّ الرجل يده ليعطي كريم البوكيه قائلاً:

- باسم الأستاذة سدرا بس بعد إذن حضرتك لازم هي اللي توقع.

أخذ كريم البوكيه وهو يرمقه بفضول، ويعبث بظرف داخله قائلاً:

- سدرا بوكيه وصل ليك لازم تمضي!

نهضت سدرا وسحبت البوكيه من يده، ثم توجهت نحو الباب، أخذت قلمًا من الرجل لتوقع قائلةً: من مين؟

ردَّ الرجل: مش عارف والله يا فندم بس هو يُسَلِّم بعلم وصول المرسل مارضيش يقول اسمه، ممكن حضرتك تكلمي المحل تفهمي منه.

اعتلى عينيها الاستغراب حين رأت بداخله ظرفاً، دلفت إلى غرفتها، وجلست على الفراش، وفتحت الظرف وجدت ورقة مكتوب عليها:

«قلادتك تحمل شيئاً بداخلها، كل عام وأنت بخير».

من باريس.

اتسعت مقلتاها، واعتلت عينيها الدهشة، وهي تتحسس قلادة سليم بأنامل مرتعشة، واغرورقت عيناها بالدموع، ثم قبضت بيديها على رأسها حين شعرت بألم يجتاحها، ثم قامت بنداء أمينة بصوت مرتفع، فأنت إليها مسرعةً جلست بجانبها في فزع قائلةً:

- ما لك يا سدرا؟

فأعطتها تلك الرسالة، ويدها ترتجف، ثم قالت بصوت خفيض:

- اقري الرسالة دي!

أخذت أمينة الرسالة، وبدأت تقرأها لسدرا حتى اتسعت مقلتا سدرا مرة أخرى، ثم قالت بنبرة مرتجفة:

- يعني دا حقيقي وأنا مش مريضة؟

ثم عقدت حاجبيها في غضب، وأردفت في تساؤل:

- مين دا؟ دا أكيد نازلي عايزة تجنني!!

هي الوحيدة اللي ممكن يكون معاها موبايل سليم ويتعمل كدا فيا!

فقاطعتها أمينة بهدوء وقالت:

- لا يا سدرا، موبايل سليم مش مع نازلي.

فقطبت حاجبيها والتفتت لها سdra بينما تكسو ملامح وجهها الشك: وانتى عرفتى منين؟؟؟

فردت أمينة بعينين مرتعشتين ونبرة يشوبها القلق:

- أصلها بصراحة جت هنا لكريم وانتى فى لندن، واتهمتلك إنك أخذتى حاجته بما فىهم موبائله؛ لأن فىه حد ببيعت رسائل ليها ولجوزها من رقمه دايماً بيهددهم فىها ومعيشهم فى رعب!

ثم أكملت:

- والنبي يا سdra ماتقوليش لكريم علشان هددنى إنى مش هشوف وشه تانى لو قلت لك حاجة..

-- بيقول إيه فى رسائل التهديد؟

فردت أمينة، وتعنتلى عينيها حيرة:

- ماعرفش هي ماقلتش غير إن فىه حد من رقم سليم ببيعت لها رسائل تهديد، وإن رقمه لسه شغال، لكن كريم طردها بره البيت، وقالها لو جت هنا تانى هيسجنها، وفعلاً ماجتش من ساعتها!

صمتت سdra طويلاً، ثم طلبت من أمينة أن تتركها وحدها، فخرجت أمينة، وأغلقت الباب بحرص وهدوء...

أسرعت سdra نحو هاتفها.. سحبتة من على الفراش، وقبل أن تشرع فى كتابة رسالة وجدت نفس الرسالة التي استقبلتها مع باقة الورود: «قلادتك تحمل شيئاً بداخلها». فأخذت تحدق بالرسالة، وبدا على ملامح وجهها الاستسلام.. وبعد لحظات تبذلت ملامحها وهي تشرع فى كتابة رسالة:

- أنا خلاص مش عايزاك تبعت لى تانى، أنا كنت بعالج نفسى برسائك كنت بحمى نفسى من أذى أكبر!

Message Delivered

فكتبت فى عصبية: أنا خلاص مش هبعت لك تانى!!

Message Delivered

اعتلى عينيها الوجوم حين قرأت رسالته التالية:

- هنتقابل.

ففرعت مرة أخرى وهي تكتب بعصبية:

- إنت ميبين؟

لكنه استكمل وتجاهل سؤالها: روحك هتحيا من جديد.. دا وعد مني.

وفي المساء بدأت مراسم احتفال بسيط بعيد ميلاد سدر.. كانت جالسة تتأمل السماء وبداخلها ضجيج كبير.. يجلس إبراهيم بجانبها يصغي إلى موسيقى التانجو بسعادة، ويشعر كأن روحه تستجيب إلى إيقاع أنغام الموسيقى الهادئة فتحلق معها عاليًا.. ومن خلفهما كريم وأمينة وبعض من أصدقائهم.

قال إبراهيم بنبرة ودود وابتسامة هادئة:

- أنا سعيد جدا يا سدر!؛ لأنك بدأتى تتخطى محنتك.

فقال له في تحفُّز:

- إبراهيم! حاسة لسه إن سليم عايش!!

شعر بإحباط ولم يردِّ، فرفعت هاتفها أمام وجهه بعصبية قائلة:

- طب تقدر تقولي رقم مين دا؟؟

نظر لها تفهماً بامعان ثم أعاد النظر إليها! ففتحت الرسائل ثم أردفت:

- اقرأ.

سحب من يدها الهاتف بهدوء، وأخرج نظارته الرفيعة من جيب بدلتته، وأخذ يمرر الرسائل وهو يقرأها بامعان، أعاد النظر لسدر وهو تعتلي عيناه الدهشة مردفاً:

- يا ترى ممكن يكون مين دا يا سدر؟! دا حد ببيعت لك رسائل كأنه عارفك!

فأجابت ويعتلي وجهها الحيرة، ويشوب نبرتها بعض العصبية قائلة:

- فيه حد معاه موبايل سليم، وبيعت تهديدات لعمته وجوزها ويعرف أسرار كثير..

ثم صمتت للحظات كأنها تذكَّرت شيئاً، وفي نفس اللحظة التي تتحسس قلاذتها، ورنَّ جرس هاتفها باستقبال رسالة من رقم سليم تقول: «لا تنسى فتح القلاذة».

نهضت سريعاً، ودخلت غرفتها، وجثت على ركبتها، وخلعت سلسلة عنقها، وانتزعت منها قلادتها الدائرية الضخمة، ثم قامت برجّها فشعرت بأنها بالفعل تحمل شيئاً، فأخذت تدقق النظر بها باحثاً عن الفاصل الرفيع، وحين وجدته ظلت ترمقه بامعان.. جلبت إبرة رفيعة، ثم دسّتها بين الفاصل، فانشقّت القلادة إلى نصفين، فانسلّ خارجها خاتماً من الذهب يحمل فصّ ألماس وردياً منقوش على معدنه الدائري من الداخل اسم سليم بالخط الفرنسي. ظلت تتفقده من كل اتجاه، وعيناها تفيضان بالدموع وأخذت تستنشق بانتشاء بقايا عطر سليم الذي انساب فجأة في تلك الأثناء أتها رسالة باللغة الفرنسية:

«هذا الخاتم كان من المفترض أن يقدم لك الليلة، يوم ميلادك، ارتديه في يدك اليسرى».

بعد أن قرأت الرسالة ضمّت الخاتم إليها كأنها تعانق روحه، وفي مخيلتها ترى وجه سليم عند أول لقاء، وحين كانت ترمقه من وراء النافذة، تذكرت سفرهما إلى السخنة، رقصات التانجو الدافئة التي كانت تجمع روحيهما في معزل عن صقيع العالم، تذكرت اليوم الذي عرض عليها الزواج فيه، وتشبّثها أن يبقى ذلك سرّاً، ثم خالطت دموعها ابتسامة واسعة حين شعرت بركلة ناعمة من ذلك الصغير المتربع داخل رحمها، ارتدت الخاتم، ونهضت وهي تمسح الدموع بمرفقيها، ثم وقفت خلف الباب، واستنشقت نفساً عميقاً ثم خرجت من الغرفة.. وقفت أمام كريم بوجه عابس، فالتفت لها، وتعتلي ملامح وجهه القلق، فربنت على كتفه وفجأة افترشت وجهها ابتسامة واسعة.

لاحظ على وجهها أثر بكاء، فمسح على شعرها بحنوّ وقال بنبرة هادئة:

- أنا كنت عارف من أول يوم إنكم هتتجوزوا، سليم الله يرحمه لما طلب منك الجواز كان معرّفني قبلها.. ولما طلبتي منه إن يكون سر كان بيلمح لي بس مالحقش ومالحقناش نفرح بيكم..

ثم رفع رأسها وابتسم لها ابتسامة تلقائية، فخالطت بكاءها ضحكة صافية.

في صباح اليوم الثاني ذهبت سdra إلى قبر سليم، ومعها باقة من الورد، جلست أمام البقعة التي يرقد فيها في شرود.. وبعد لحظات التفتت، ونزعت باقة الورد من جانبها وأخذت تنثر الورد على قبره، والدموع تتساقط من عينيها، وفجأة لفت انتباهها شيء عند زاوية من زوايا ساحة القبر، فنهضت وتحركت نحوها ببطء، وحين نزعتها من على الأرض وجدت باقة ورد تنسل خارجها مثيلة لتلك التي أرسلت لها أمس، ومعها صندوق صغير بداخله سلسلة عنق سليم التي تحمل قلاذتها مفتاح قفل سوار سdra التي أهدته لسليم يوم ميلاده..

تلقتت حولها بشيء من قلق، ثم أعادت النظر إلى الحقيبة بريبة واستدارت حين شعرت بحركة غريبة في المكان، فتوجهت نحو الباب الحديدي تحوم بنظرها خارجة فلم تجد سوى فراغ.. فدلقت إليه مرة أخرى، وانزلت بجسدها جالسة بعينين غائمتين، وفجأة أحسّت بأحد خلفها، فقامت مفزوعة، فوجدت أمامها إبراهيم قائلاً: كنت عارف إنني هالاقكي هنا!

فاحتدّت معالم وجهها قائلةً بنبرة منفعلة:

- أنا اتقزعت!!

فردَّ إبراهيم بنبرة تحمل شيئاً من الغضب:

- إنتي بقت تصرفاتك غريبة جداً.. بتنزلي من غير ما تقولي لحد، مابتريش على موبايك، أنا وكريم من الصبح بندور عليك! لازم نقلق!

ثم أردف:

- إنتي ناسية إن فيه روح في بطنك لازم تحافظي عليها، كفاية.. يلا يا سdra علشان تروحي البيت!!

عند عودتها إلى المنزل خرجت من المصعد. وجدت على عتبة الباب النسخة الأخرى التي كانت مفقودة من مفتاح قبر سليم، فتذكرت المرة الأخيرة حين سقطت من يدها سلسلة المفاتيح.. دخلت بخطوات متثاقلة تمددت بجسدها على الأريكة تنظر إلى سلسلة سليم في شرود، وسقطت من بين جفونها دمة، فقطع شرودها جرس المنزل يدق بشكل متواصل، مما أثار ضيقها، وبمجرد أن فتحت الباب وجدت أمامها نازلي تصرخ في وجهها قائلة:

- الرسائل اللي بتبعيتها من رقم سليم بطلي تبعيتها أنا مابخافش!

لم تردَّ عليها سdra.. وبعد لحظات قطع شرودها صمت نازلي، وقد تبدلت نظراتها العدائية إلى نظرات خوف ترمق شاشة هاتفها، ثم تعيد النظر إلى وجه سdra، ويكسو وجهها الرعب، رجعت

عدة خطوات للخلف في وجوم، ثم توجَّهت مسرعة نحو السلم بعد أن تيقنت أن سدرا هي الأخرى
تصلها رسائل من رقم سليم.

نزلت بخطى متأرجحة في هلع حتى اختفت عن نظر سدرا.. وعند مدخل العمارة صادفها كريم
وهي تسرع الخطى خارج العقار، فاعترض طريقها قائلاً بحدة وعينين جاحظتين:

- أنا مش قلت لك متجيش هنا تاني؟

دفعته وما زالت ملامح الفزع تعتلني وجهها، وركضت نحو منزلها مسرعةً، فتبدلت ملامح كريم،
وظل يرمقها في استغراب حتى دلفت إلى عقارها...

بعدها ظلت سدرا ترمق هاتفنها، وهي تنتظر رسالة من رقم سليم، وبعد أن ألقنت بالهاتف على
الفراش في يأس اهتزَّ الهاتف لاستقبال رسالة، فانقضت وسحبت هاتفنها، وفتحت الرسالة تقرأها
بتلهُف:

«أنا لم يجمعني لقاء واحد مع سليم، ولم ألتق به قط طوال حياتي، ولكنني أودُّ بشدة حين ألحق به في
ساعة ما أن أدفن بجواره».

تمتت سدرا بصوت واهن وهي تنظر حولها بذهول، وتتهمر الدموع من عينيها قائلة:

- طب إنت مين؟

ولم تأتِها رسائل جديدة.

بعد مرور أسبوع كانت تجلس نازلي وزوجها في مكتب المحامي تنتظر لأوراق الميراث بعينين
لامعتين، وتضع توقيعها بحماس شديد، بعد أن تم تسجيل الميراث باسمها، أخذت تلمم الأوراق بنهم
مزوج بسعادة تضعها داخل حقيبة سوداء مردفة بنيرة كبر يشوبها الخُبث:

- الله يرحمك يا سليم.. أبوك خد كل اللي حيلتي وكتبه باسمك!

وفي تلك الأثناء دقَّ جرس باب المكتب، وبعد لحظات دخل شخص بغتة وقف أمام مكتب المحامي،
فاتسعت أحداقهم جميعاً، وما إن رأته نازلي حتى فقدت وعيها، ثم سقطت على الأرض مغشياً عليها!

عادت سدرا لمزاولة عملها في المعرض من جديد، وعادت تتلقَّى طلبات العملاء لتصميم لوحات
زيتية، وأصبحت معتادة على اصطحاب سبيد وسيزر معها إلى المعرض، جالسةً على المقعد أمام
مكتبها تُحرِّك المقعد يميناً ويساراً في شرود، وخلفها لوحة زيتية لسليم تتوسط الحائط، وتحتل حيزاً

ضحماً من مساحته، انحنى بقامتها نحو المكتب تعبت بقطعة نحاس على شكل دراجة نارية وزجاجة صغيرة، التفتت حين قطع شرودها وصول رسالة على الواتساب تقول:

«يوم اللقاء: بعد عشرين يوماً من الآن».

Message Delivered

«المكان فرنسا: أسفل برج إيفل».

Message Delivered

«الوقت: عندما يضيء البرج بعد الغروب».

Message Delivered

فردت بعصبية:

- أنت مجنون؟؟ فرنسا؟؟

فأجابها باللغة الفرنسية: لست بمجنون.. أولم يكن هذا المكان الذي طالما حلمتِ دوماً بزيارته مع سليم؟ وحلمتِ برقصة تانجو بساحته أسفل فروع المصابيح ذات الضوء الخافت؟ إن عشرين يوماً تكفي لإنهاء جميع أوراق سفرك، ولن تتلقني مني أي رسالة لحين لقائنا يا سدر.

* * *

باريس

الخمسة مساءً

كانت سدرا تتمسك بأي بريق أمل يصلها ببداية خيط ينتهي عند سليم، حتى ولو كان في آخر العالم، وهو ما جعلها تتصاعق لما تقوله كل رسالة، وصلت سدرا إلى باريس، وبينما كانت جالسة على الفراش في غرفة الأوتيل المطلة على أحد الشوارع العمومية تطالع الثلج بالخارج من خلال نافذة ملتصقة بالفراش، وبوجه صامت وعينين مترقبتين أي رسالة تصلها من رقم سليم.

كانت أنغام موسيقى فرنسية خفيفة تتخلل غرفتها، وتخالط صوت خطوات المارة في الشارع، تنتظر رسالة من رقم سليم، ويعتريها القلق وتقتلها الحيرة، تشعر وكأن الوقت يمر ببطء شديد.. لا تعرف ما الذي ساقها إلى تلك المدينة سوى تعلقها بأمل لا تفهمه، ربما رغبتها للوصول إلى النهاية التي تبدو حتى الآن مبهمة...

اهتزَّ الهاتف لاستقبال رسالة من رقم على ما يبدو لها أنه خط من فرنسا بالفعل!

- حمد الله على السلامة.. يا رب الفندق يكون عجبك.. نتقابل بعد ساعة؟

فردت وعينيها تعتلبيها الوجوم وأناملها ترتعش:

- فين؟

- الدور الثاني من برج إيفل.

قامت من على الفراش تنظر حولها في قلق بالغ.. تسير ذهاباً وإياباً بعصبية وتوتر، توقفت أمام حقيبة السفر الكبيرة، انتزعت منها معطفاً ثقيلاً وبنطالاً وبلوفر أسود، وبعد أن ارتدت ملابسها أمام المرأة، توقفت لحظة وهي ترمق وجهها الباهت بنظرة بائسة، فأخرجت حقيبة الـ Make up أخذت تمسح وجهها بزينة خفيفة.. لم تدر لماذا راودها شعور بأنها تود أن تكون جميلة هذه الليلة بالتحديد..

توقفت فجأة، وقامت بطلاء شفيتها باللون الوردي الهادئ، ثم نظرت إلى ساعتها تترقب الوقت.. بعد مرور ٢٠ دقيقة ألقت نظرة سريعة أمام المرأة، وسحبت حقيبة يدها ثم أخذت نفساً عميقاً وزفرته ببطء، تستجمع شجاعتها.. قبضت بيدها على مقبض الباب، أدارته وخرجت من الغرفة.. أخذت تسير وحدها وسط الثلوج.. ولم تدر لماذا جالت جدتها بعقلها في تلك اللحظات.

وصلت سدرا عند برج إيفل، وصعدت إلى الدور الثاني، ومن ثم دلفت إلى المطعم الذي أخبرها أن تذهب إليه.. جلست في وجوم على مقعد طاولة متصلة بزجاج نقي تحيطه الأضواء من كل اتجاه، ولكن رؤيته الساحرة لم تزل القلق الذي يحوم بداخلها

أنتها رسالة: لقد وصلت..

اختلجت ملامحها، وخفق قلبها، وارتعشت أناملها، وهي تنظر للهاتف.. فاجأتها رسالة صوتية.. استمعت للرسالة بترقب شديد:

- أنا الآن أراك جالسة في آخر مقعد يغمرك القلق والخوف.. لكني أودك مطمئنة وأكثر استرخاء.. لم آت بك إلى هنا لإيذائك، وأود أن تتأكدي من أنني أشعر بنفس جرحك.. أتألم بصمت، لا تقلقي يا سدرا.. لا شيء يستدعي القلق.. لقد ذهب الخوف.. القادم أجمل.. أعدك بذلك.. قبل أن أظهر أمامك أود أخبارك بالآتي.. لقد كنت دائماً بجانبك، قريباً جداً منك.. منذ يوم العزاء.. لكنني لم أمتلك الجرأة الكافية للاقتراب، حين تجمّدت ساقاك على أعتاب غرفة سليم التي انسلتُ سريعاً خارجها فور سماع خطواتك قادمة، ودلفت إلى الغرفة المجاورة للاختباء.. أنا من أثار الضوضاء داخل الممر حين لمحت قدوم نازلي قرب غرفة سليم لتنتهي! وأسرعت أنا إلى الغرفة المقابلة للغرفة التي كنت أختبئ بها للاختباء مرة أخرى.. بعد انصراف نازلي وخروجك من الممر خلسة، عدتُ إلى مقعدي ملثم الوجه، واضعاً على رأسي غطاء المعطف، وظهري خلف الجالسين.

أنا من أعاد زجاجة العطر وقلادة العنق التي أهديتها لسليم يوم ميلاده، ومعها النسخة الأخرى من مفتاح قبره، أنا من قام بإرسال رسالة تهديد لنازلي بالقتل إن لم تبتعد عنك، أنا من قام بأخذ هاتف سليم ومذكراته التي لم تعلمي عنها شيئاً.

أنا يا سدرا لم أقابل سليم قط كما أخبرتك تماماً، لما أقبله سوى مرة وحيدة أشرف عليها والدانا، وتغافلاً عما يجب أن نفعله فيما بعدها، فرقتنا الحياة، وسرتُ في طريقي.. شعور الذنب يزداد، لكني لا أفعل شيئاً حياله، ظننتُ أن الوقت في صالحني، لكنني فوجئت بخطوات الموت السريعة تنتشل سليم من على قيد الحياة، وتجبرني على العيش هكذا.

كنت أحياناً أشعر بأنني أفقد القدرة على النطق، كنت أشعر بأن الكلمات عاجزة داخل حنجرتي ولا أعرف السبب.. كان رأسي يؤلمني فجأة أو يؤلمني جسدي شاكياً من داء ليس به..

عند سقوط الأمطار كان يستيقظ بداخلي حنين لشيء ما لا أعلمه، ولكنه كان دائماً يسحبني للخارج عند هطولها، كأنه يحمل في زخاتها رسائل خاصة أو موعد لقاء، كنت أحياناً ما أشعر بقلق مفاجئ رغم أن لا شيء يستدعي هذا.. كنت أحياناً حينما ألقى نظرة إلى المرأة لا أرى إلا نصف جسدي.. كنت أشعر دائماً بأن شيئاً ما ينقصني.. أشعر وكأن روحي غير مكتملة، جزءاً منها مفقود، هائم بمكان ما على الكرة الأرضية.

مع أول رسالة تلقيتها منك عبر الواتساب علمت مدى حبك لسليم، ووجعك على فراقه، ذكرتني بكل
المرات التي حاول فيها أن يتواصل معي ولم أجب، كل المرات التي أراد فيها الفرار من عمته
وطمعها، لكنني كنت أتمادي في البعد والتجاهل.. أسعدني كثيراً عندما علمتُ بصغيره المختبئ
داخل أحضان رحمك.. وبكيت.. وبكيت كثيراً مع كل رسالة.

كنت أحترق من داخلي كلما فتحت مذكراته وقرأت، فقد اطلعت على حياته من خلالها.. مدى قسوة
نازلي، مدى ارتباطه بكلبه (سييد).. قرأت عن عالمه الصغير قبل غزوك له.. تأثرت كثيراً عند أول
لقاء بينكما، وابتسمت عند ثاني لقاء، وحننت يوم ميلاده.

وجدت كل الإجابات بين ثنايا السطور..

أنا يا سدرأ وُلدت بهذه المدينة لأُمٍ مصرية، عشت هنا مع أمي خمسة وثلاثين عاماً دون أب، ولا
أعلم عنه شيئاً لم أكرث.. تعلمت منها اللغة العربية.. كنت أراها تبيكي كثيراً لافتقاد شخص غائب لن
يعود أبداً..

سليم وأنا يا سدرأ ظلَّ يعانق بعضنا الآخر داخل رحم واحد لتسعة أشهر، لكننا لم نلتق سوى مرة
واحدة دون غيرها، تلك المرة التي اتفق أبوانا على الفراق للأبد.

ثم نهض بقامته من أمام الطاولة الأمامية لها.. واستدار إليها بجسده.. في تلك اللحظة رفعت سدرأ
رأسها ببطء، وتتسارع ضربات قلبها، وحين وقع نظرها على وجهه جحظت عيناها، وتجمد جسدها
وفاضت عينيها بالدموع.. فاقترب منها.. ووقف أمامها ثم أردف:

- أنا «أدم» يا سدرأ أنا أخو سليم التوأم.

بعد لحظات تحول بكاؤها المكتوم جلس جوارها

قال بهدوء شديد:

- «ماتخافيش يا سدرأ.. صدقيني الصعب عدى.. مش هسيبك إنتي ولا ابن سليم أبداً.. اللي ماقدرتش
أقدمه لسليم وهو عايش هاقدمه ليكي ولابنه».

ثم سحبها بين ذراعيه بهدوء حتى بدأ جسدها يهدأ شيئاً فشيئاً..

رفعت رأسها إليه مرة أخرى تُمعن النظر إلى وجهه بعينين أرهقهما الوجد والفراق، تتحسس وجهه
بأناملها المرتجفة والدموع تتساقط من عينيها قائلة بصوت متحشرج: سليم.

كان كريم يجلس في المساء في منزله أمام التلفزيون يشاهد فيلمًا.. فقطع استغراقه صوت جرس الباب المتواصل.. فنهض مسرعًا نحو الباب، فوجد نازلي أمامه منغمسةً في البكاء قائلةً بنبرة يشوبها انكسار وتوسل: يا أستاذ كريم أنا اترميت في الشارع، كلم سدرا خليها ترجعني البيت أبوس إيدك أنا هنام في الشارع!!

نظر لها والاستغراب يعتلي ملامح وجهه: نعم؟

فقالت والبكاء يخالط صوتها:

- أنا جوزي سابني بعد ما آدم خد كل حاجة..

صمتت لبرهة، ثم أكملت وهي ترجوه:

- جه ينتقم لأخوه مننا، وعمل كل اللي كان المفروض يعمله وهو عايش، والني كلم سدرا ترجع لي البيت بس، أو تجيب لي أي مكان أنام فيه.

ثم انغمست في البكاء مرة أخرى..

كان كريم ما زال على وجه التعجب عاقد حاجبيه باستغراب قائلاً:

- طب اتفضلي ادخلي.

دخلت بخطوات مثقلة بالذل، ثم جلست على أول مقعد بوجه يملؤه الانكسار، فجلس أمامها كريم مردفًا:

- أنا سامعك.. إيه علاقة سدرا بالموضوع؟ ومين آدم؟

- آدم خد كل حاجة.. وكتب كل حاجة باسم سدرا، وطرمني برة البيت وجوزي سابني.

فقاطعها باستغراب:

- آه آدم مين؟!!

فأجابت بنبرة منكسرة:

- سليم الله يرحمه كان له أخ توأم مشافوش بعض إلا مرة على حد ما عرفت من أبوه.

بدا على وجه كريم الدهول، واتسعت عيناه بلمعة تحمل شيئاً من السعادة حتى بدأ ينصت لها بانتباه شديد، فأكملت نازلي قائلة:

- أنا مكنتش أعرفه وماعرفش غير سليم من ساعة ما أبوه رجع عاش في مصر، وهو معاه وكان عنده سنتين! وتقريباً ما حدش كان عارف السر دا غير مراته أم سليم وآدم.. آدم هو اللي كان بيعت رسايل تهديد ليا، ودخل علينا مكتب المحامي، وكل حاجة انتقلت باسمه.

انتفض كريم من شروده على نحيب نازلي المصطنع لتستجدي عطفه:

- والنبي كلم سدرا وقولها وأنا هعمل أي حاجة علشان تسامحني.

قاطعها قائلاً:

- هي سدرا في فرنسا بقالها عشر أيام دلوقتي.

فقالت باستياء وهي تتحاشى النظر إلى وجهه:

- منا عارفة هي هناك عند آدم.

نهض والسعادة تملأ وجهه قائلاً:

- معلى ممكن تنتظري لحظة.

ثم ركض إلى غرفته، وهاتف سدرا، وفور أن ردّت عليه سأله مباشرة:

- قصة آدم حقيقة؟

- حقيقة، كنت مستنية أحكي لك تفاصيلها لما أرجع.. أنا نفسي مش قادرة أستوعب اللي بيحصل.

- سدرا؟ عايز أشوف آدم.

قامت سدرا بإرسال صورة تجمعها مع آدم، وقد بدا على وجهها سعادة لم يرها منذ رحل سليم، نظر كريم للصورة والدموع تتساقط من عينيه بابتسامة حقيقة، وجلس متهدأ، وظل يرمق الصورة، ويتأملها لعدة دقائق، وفجأة انتفضت حين تذكر نازلي، فتوجه سريعاً خارج الغرفة قائلاً:

- هادبر لك مكان في أوتيل قريب تباتي فيه لحد ما سدرا ترجع، وساعتها نحلّ المشكلة دي.

اندهشت نازلي من تصرف كريم معها، وجلست في دهشة يعترئها الندم!

بعد مرور يومين عادت سdra وعادت كل الأمور إلى طبيعتها، وعادت تجلس أمام نافذتها الزجاجية بمنزلها بالمعادي تحتضن كوباً من الشيكولاته الساخنة الذي يعده لها آدم كلما جاءها ليطمئن عليها.. ثم أتى صوت دافئ من الخلف قائلاً:

- سdra أنا هانزل أجيب حاجات للبيبي علشان...

هنا ظهرت صاحبة الصوت.. «ملك» والددة آدم وسليم التي احتضنت آدم في حنان كبير.

رنَّ جرس الباب، ففتحت ملك، ووجدت أمامها إبراهيم حاملاً بيده بوكيه ورد.. دخل وانحنى على ملك، وقبّل يدها قائلاً برقة: «بونجور»، فنظرت له بابتسامة، واكتسى وجهها بحمرة الخجل.

التقت آدم وسdra لبعضهما.. تقدّما سوياً نحو النافذة يرمقان الشارع والمارة بابتسامة عريضة، وبعد لحظات نظر آدم لسdra بطرف عينه كأن فكرة ما جالت بباله، فأشار لها وهو يرجع خطوات للخلف بالألا تتحرك! قام ببناء سبيد سريعاً، ثم ركض صوب باب المنزل وخلفه سيزر الذي ركض وراءه دون تفكير، فنظرت له باستغراب وتعجب، وبعد لحظات أعادت بصرها صوب السماء تتأملها، بعد دقائق وجدت باب شرفة سليم الزجاجي يُفتح، وظهر أمامها آدم داخل الشرفة مرتدياً معطف سليم الأسود، وقف أمامها في الشرفة ينظر لها، ثم تقدم نحو السور مثلما كان يفعل سليم.

جاء آدم كي يفعل ما ظلّ يتمناه شقيقه طوال فترة حياته، جاء متأخراً لكنه كان أفضل من ألا يأتي أبداً، التقت سdra إليه ببصرها، واعتلت ملامح وجهها الفرحة.. افترشت ابتسامة عريضة على وجهها، وتدفقت الدموع في عينيها، وهي تتحسس الزجاج بكفيها هامسة بخفوت: ربنا يرحمك يا سليم.

تقدم كريم ببطء صوب النافذة خلف سdra..

وبعد مرور بضعة أشهر، كانت سdra تحمل طفلها، وخلفهما آدم واقفاً يستمع لأنغام الموسيقى الهادئة، ثم خرج كريم من المطبخ بينما تقف أمينة تهيئ مائدة الطعام، فقطع انغماسها حين عانقها كريم، وطبع على خدّها قبلة حانية.

(١٤)

كانت ابتسامتها أسفل برج إيفل مختلفة هذه المرة.. لا تزال ترى سليم في أحلامها وهي تسير مرتدية فستانها الأبيض وتبتسم.. فهي الآن روح تؤمن بالفرص الثانية والفرص اللانهائية، وما إن خيل إليها أنها ترى جدّتها تبتسم إليها، وكأنها تبعث إليها رسالة مختلفة تمامًا عن كل الرسائل القديمة، رسالة خالية من الألم.

حتى اقتربت من آدم تهمس له بعينين لامعتين:

- نشرب قهوة سوا؟

نظر إليها آدم بدوره، وابتسم في حنان شديد يختصر الكثير من الكلمات.

تمت